علي بن إبراهيم النَّملة

صدام الثنائيات

افتعال الصراع بين الملتقيات

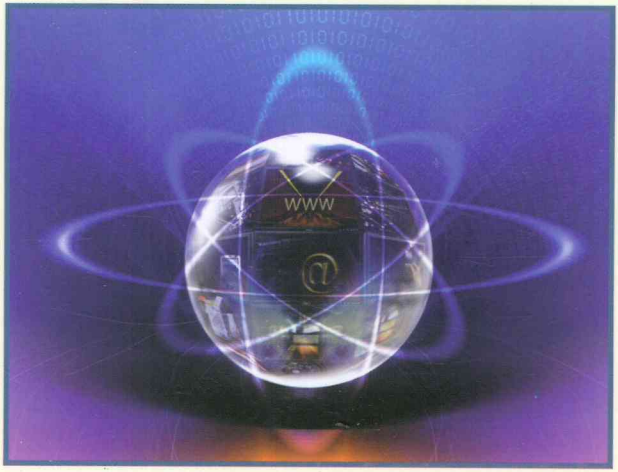

بيرسان

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صِدَامُ الثُّنَائِيَّاتِ

افْتِعَالُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمُلْتَقِيَاتِ

ⓒ علي بن إبراهيم النملة، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة، علي إبراهيم

صِدَامُ الثُّنَائِيَّاتِ: افْتِعَالُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمُلْتَقِيَات

علي إبراهيم النملة. ـ الرياض، ١٤٣٦ هـ

٢٠٥ ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

ردمك: ١ ـ ٩٣٧٢ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الثقافة ٢ ـ المعرفة

أ. العنوان

ديوي ٣٠١.٢ ١٤٣٦/٩٠٨٦

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٩٠٦٨

ردمك: ١ ـ ٩٣٧٢ ـ ٠١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ/ ٢٠١٦م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صِدَامُ الثُّنَائِيَّاتِ
افْتِعَالُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمُلْتَقِيَات

علي بن إبراهيم الحمد النملة

أستاذ الدراسات العليا

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بيرسان

● اسم الكتاب: صِدَامُ الثُّنَائِيَّاتِ: اقْتِعَالُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْمُلْتَقِيَات
● تـــأليـــف: علي بن إبراهيم الحمد النملة
● الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) 2016م
● ISBN 978 - 3899 - 11 - 174 - 3
● جميع الحقوق محفوظة © بيسان للنشر والتوزيع

● لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت «الكترونية» أم «ميكانيكية»، أم بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك. إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

● الآراء الواردة في الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها الناشر.

● الناشـر: بيسان للنشر والتوزيع
ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 00961 1 351291
E-mail: info@bissan-bookshop.com
Website: www.bissan-bookshop.com
Facebook: مكتبة بيسان للنشر والتوزيع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

الاستهلال ١١
تنويه ١٣
المدخل ١٥
التمهيد: الثنائيات ٢٣
الفصل الأوَّل: ثُنَائِيَّاتٌ مُتَلازِمَةٌ ٣٣
التمهيد ٣٣
ثنائية الأمر والنهي ٣٤
ثنائية العقل والقلب ٣٦
ثنائية الرضا والغضب ٣٨
ثنائية الإخلاص والصواب في الأداء ٤٠
ثنائية القوَّة والأمانة في المهمَّات ٤١
ثنائية الدين والخلُق في العلاقات ٤٢
ثنائية الولاء والبراء ٤٣
ثنائيات في الإدارة ٤٨

الفَصْلُ الثَّانِي: ثُنَائِيَاتٌ تَلْتَقِي ٥١
ثنائية الشرق والغرب ٥١
افتعال الافتراق ٥٣
ثنائية الكُلِّي والجُزئي ٥٨
ثنائية الروحي والمادِّي ٦٣
ثنائيات عرقيَّة: البيض والملوَّنون ٦٥
ثنائية الاستشراق والاستغراب ٧١
ثنائية الذات والآخر ٧٣
ثنائية الشمال والجنوب ٧٦
ثنائية اليمين واليسار ٨١
ثنائية الدين والحياة ٨٥
ثناشية الدين والعلم ٨٩
الفَصْلُ الثَّالِثُ: ثُنَائِيَاتٌ لا تَلْتَقِي ٩٣
التمهيد ٩٣
التضادُّ الإيجابي ٩٥
ثنائيات كونية: النور والظلام ٩٦
ثنائية البياض والسواد ١٠١
ثنائية الذكر والأنثى ١٠٣
ثنائياتٌ عاطفيةٌ: الفَرحُ والحُزنُ ١٠٥
ثنائية الخير والشرِّ ١٠٧
ثنائيات نسبية: الحُسن والسوء ١٠٨
ثنائية السعادة والشقاء ١١٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثنائيات الجنَّة والنار ١١٥
ثنائية اليمين والشمال ١١٨
الفَصْلُ الرَّابِعُ: جَدَلِيَّةُ التَّمَاضِيْ وَالتَّحْيِيْن ١٢٣
ثنائية الماضي والحاضر ١٢٣
المواقف من هذه الثنائية ١٢٨
تأثير الانبهار ١٣٩
الاستثناء من التراث ١٤٤
تجاهُل الحضارة ١٤٨
الخاتمة: الخلاصة والنتيجة ١٥٥
مراجع البحث ١٦٣
الملحق ١٧٧
إصدارات المكتبة (النشرات) الإسلامية الألمانية
Bibliotheca Islamica ١٧٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستهلال

يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى:[1]

حلماءُ في النادي إذا ما جئتَهم جُهلاءُ يومَ عَجاجةٍ وَلِقاءِ

ويقول الشاعر أمرؤ القيس

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ معاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ

ويقول الشاعر أبو الشغب عكرشة بن أربد بن مسحل بن خريم بن جذيمة **العبسي (القرن الثالث الهجري) وهو من التكافؤ أي الطباق:**[2]

حُلوُ الشمَائِلِ وَهوَ مُرٌّ بَاسِلٌ يَحْمِي الذمارَ صَبيحَةَ الإرْهَانِ

---

(١) انظر: قُدامة بن جعفر، أبا الفرج (توفِّي سنة ٣٢٧هـ). نقد الشعر/ تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ـ بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت. ـ ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ ع ١ مج ٤١ (يونيو ـ سبتمبر ٢٠١٢م). ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦. ـ والنصُّ من ص ٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنويه

أصل هذا البحث محاضرة بعنوان صدام الثنائيات:

- افتعال الصراع بين ذاك الحين (التراث) وهذا الحين (المعاصرة).
- ألقيت في مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية.
- الشارقة في ٢٦/ ٧/ ١٤٣٥هـ - ٢٦/ ٤/ ٢٠١٤م[١].

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. صدام الثنائيات: افتعال الصراع بين ذاك الحين (التراث) وهذا الحين (المعاصرة). ـ ص ٥٩ ـ ٨٦. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدخل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

- فقد عقد مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي آل سعود للبحوث والدراسات الإسلامية لقاءً علميًّا حول تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان، وذلك بمقرِّ المركز في الشارقة بالإمارات العربية المتَّحدة في المدَّة من ٢٦ ـ ٢٨/ ٧/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤م. وطلب المركز مني تغطية جزء من المحور الأوَّل ذي العلاقة بالتأصيل، فكان هذا البحث الذي سعى إلى تحرير مفهوم التحيين والتأصيل، وركَّز على وجود ثنائيات في هذا الكون ـ بقدرة الله تعالى ـ لا تلتقي. وثنائيات افتعل الإنسان لها ألاَّ تلتقي، وهي بطبعها قابلة للالتقاء، بل يلزم منها أنْ تلتقي، بما يُعين على المزيد من التعارُف بين الناس والشعوب وعمارة الكون.
- وكان هذا المحور قد طرح فكرة تحيين المعرفة وتأصيل

الإنسان، أو تأصيل المعرفة وتحيين الإنسان ـ كما اقترحت رئيسة مجلس أمناء المركز والمديرة العامَّة سمو الأميرة الأستاذة الدكتورة سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود ـ وهو الأقرب، من حيث الإمكانُ والطلبُ الملحُّ إلى أنْ يقبل النقاش والبحث والدراسة في ثنائية قابلة للالتقاء، بل ربَّما قيل فيها إنها يجب أنْ تلتقي ولا بُدَّ لها أنْ تلتقي، حيث لا تعارُض بين التأصيل والتحيين ولا تناقُضَ ولا اختلاف ولا تضادّ، خلافًا لمن سعوا إلى القطيعة بين ذاك الحين وهذا الحين، وجعلوا نبذ ذاك الحين من مؤشِّرات، بل من مقوِّمات، الرقيِّ والتقدُّم، بينما التمسُّك بذاك الحين أضحى عند هذا الفريق من عناصر التخلُّف والرجعية والظُّلامية والماضوية، أو تلك الفئة التي تبنَّت الدعوة إلى تلك المفهومات التي يسعى جانبٌ منها إلى الإقامة الدائمة فيما مضى، بخلاف الحنين إلى الماضي الذي يرغب في العودة إلى الجذور والأخذ منها، مع عدم إغفال المضيِّ قدمًا. وفي هذا جدلية ثارت منذ زمن يزيد على قرن من الزمان، وما تزال تتجدَّد كلَّ حين، على اختلاف في قوَّة الطرح ونسبة الاقتناع[1].

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. صدام الثنائيات: افتعال الصراع بين ذاك الحين (التراث) وهذا الحين (المعاصرة). ـ ص ٥٩ ـ ٨٦. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان. ـ مرجع سابق. ـ ٢٩٦ ص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

● وقد فتَحت هذه الثنائيةُ «الشهيةَ الفكريةَ» للبحث في الثنائيات، من حيثُ تلاقيها أو تعذُّر تلاقيها بطبيعتها أو بفعل الإنسان وافتعالاته. فطفقتُ أبحث في الثنائيات، من حيث وظائفُها التي خُلقت لها ابتداءً وأصلاً، بدءًا بالآتي:

١ ـ الثنائية الكونية القائمة على الزوجية،

٢ ـ وثنائية الحياة والموت،

٣ ـ وثنائية الحياة الدنيا والحياة الآخرة،

٤ ـ وثنائية النور والظلمة،

٥ ـ وثنائية النهار والليل،

٦ ـ وثنائية البياض والسواد في المعنى،

٧ ـ وثنائية الثواب والعقاب،

٨ ـ وثنائية الجنَّة والنار،

٩ ـ والثنائيات العاطفية من الفرح والحزن،

١٠ ـ وثنائية الكُلِّي والجُزئي،

١١ ـ وثنائية الشرق والغرب من حيث الجِهوية ومن حيث الفكرية،

١٢ ـ وثنائية الفوقية والدونية،

١٣ ـ وثنائية الذات «النرجسية» والآخر،

١٤ ـ والثنائية العرقية المفتعلة،

١٥ ـ وثنائية الدين والحياة،

١٦ ـ وثنائية التبتُّل والتعلمُن،

١٧ ـ وثنائية المادِّي والروحي،

١٨ ـ وثنائية الخير والشر،

والثنائيات المتلازمة التي لا تنفكُّ إحداها عن الأخرى، ومنها:

١٩ ـ ثنائية الأمر والنهي،

٢٠ ـ ثنائية الولاء والبراء،

٢١ ـ ثنائية العقل والقلب،

٢٢ ـ ثنائية الإخلاص والصواب،

٢٣ ـ ثنائية الأمانة والقوَّة،

٢٤ ـ ثنائية الدين والخُلُق،

٢٥ ـ وثنائية اليمين واليسار في السياسة والاقتصاد،

٢٦ ـ وثنائية الشمال والجنوب،

٢٧ ـ وثنائية اليمين والشمال في السلوكيات،

٢٨ ـ ثم ثنائية التحيين والتماضي (الأصالة والمعاصرة).

● وقد أسهبتُ في الفصل الرابع في مناقشة هذه الثنائية الأخيرة، على الرغم من أنها داخلةٌ في مفهوم التلاقي في الفصل الثاني، على اعتبار أنها مما زاد الطرحُ فيها وتكرَّر بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منتمٍ ومتنكِّرٍ لأيٍّ من طرفي هذه الثنائية، بما في ذلك التفصيل في المواقف من ذاك الحين «الماضي» وهذا الحين «الحاضر»، مع الميل إلى الموقف الوسط المعتدل الذي لا يتنكَّر للماضي ولا يتجاهل الحاضر، بل يأخذ بالمفيد من كلا الحينين، ويدع غيرَ المفيد في كلا الحينين، على اعتبار أنَّ في كلِّ حين قدرًا من النافع وقدرًا آخرَ غيرَ متكافئ من غير المفيد، دون أنْ يكون غير المفيد بالضرورة ضارًّا مطلقًا.

- وسعيتُ إلى محاولة الترتيب المنطقي بين الثنائيات المتقاربة في طبيعتها الكونية أو البشرية. وما هو من صنع الله تعالى، وما هو من فعل البشر الذي هو من خلق الله. ثم دلفت إلى مناقشة ما هو متلازم وما هو قابلٌ للالتقاء وما هو غير قابل للالتقاء. وما هو طبيعي في عدم التقائه وما هو مصطنع أملته أهواءُ بعض البشر. وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل، فأضافت إليه ونقصت منه. وأُدخل في مفهومه أقوامٌ وأُخرج عنه آخرون، في صراعٍ ثقافي أزليٍّ يترك هامشًا واسعًا للعقل والمنطق والحكمة والنظرات الموضوعية المتجرِّدة من الأهواء والرغبات السريعة.

- وسعيتُ كذلك إلى محاولة تأصيل النقاش في هذه الثنائيات الواردة، واستشهدت بعددٍ من آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، دون الدخول في أقوال العلماء المفسِّرين وشارحي الأحاديث، مما قد يُحدثُ نوعًا من

اللُّبس غير المقصود عند إيراد الآية أو الحديث، إذ إنه لا باع لي في الولوج في تفسيراتٍ بالأثر أو بالرأي في مفهوم هذه الاستشهادات. وأرجو أنْ أكونَ قد أصبت في إيرادها أدلَّةً لما رغبت في إيراده. كما استحضرتُ بعض نصوص العرب من نثرٍ وشعر، وعزوتها إلى من قالوها. وحرصت على توثيق الأعلام الواردة من حيث الحياة والوفاة عند أوَّل ذكر للعلَم، وتقانة المعلومات تعين اليوم على الوصول لمثل هذه البيانات السريعة، دون إغفال التوثيق العلمي لها.

- وبقي ملحظٌ خاصٌّ قد يكون مأخذًا على هذا العمل. فقد أكثرت مما نسمِّيه في علوم المعلومات والمكتبات بالاستشهاد الذاتي، حينما عدتُّ إلى عدد من الأعمال التي سبق لي نشرها بفضل الله تعالى. مع أنَّ الاستشهاد الذاتي ليس ملحظًا علميًّا منهجيًّا، إذا لم يخرج عن مناسبة الاستشهاد للمقام. ومن هنا حرصت على أنْ تكون الاستشهادات الذاتية الواردة في هذا العمل مناسبة للموضوع نفسه.

- وتبقى هذه السياحة الفكرية مع الثنائيات نوعًا من الاجتهادات والسياحات الذاتية القابلة للمراجعة والتطوير والنقد والقبول والرفض في الفكر والمحتوى، بقدر ما يتيسَّر من رجع الصدى من القارئ المعني بمثل هذه السياحات، فتأخذ حيِّز الاجتهاد دون القطع في الطرح، لأنها كلامٌ من بشر تنطبق عليه ثنائية الصواب والخطأ التي لا يخلو منها كلام البشر عدا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأنبياء والمرسلين. وإنما هي محاولة لطرق أبواب هذا المنحى الفكري الذي يكثُر فيه الإسهام من منطلقات ثقافية مختلفة ومتعدِّدة. ويسعى بعض محاولي الانتماء للثقافة أنْ يتباروا في اختيار الكلمات الغريبة المبهِمة والمبهَمة؛ للدلالة على ما وصلوا إليه من وعيٍ واطِّلاع وقدرة على الإبداع اللفظي، بما في ذلك الخوض في مفهوم الثنائيات من منطلق نقدي قلق على المجتمع ومساره الثقافي.

- وأشكر القائمين على مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي آل سعود للدراسات والبحوث الإسلامية، ممثَّلاً برئيسة المركز صاحبة السمو الأميرة سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود، أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلِّية الآداب للبنات بالدمَّام، والزميل الدكتور صالح اللهيبي مدير عام المركز والزملاء والزميلات العاملين في المركز، على إعادة إثارة هذا الموضوع الحيوي بمنهجية علمية ترغب في وضع الأمور في نصابها، فلا تتنكَّر للماضي ولا تتجاهل الحاضر. كما أشكرهم على منحي الفرصة للإسهام في هذا الموضوع بما تيسَّر لي مناقشته. فكانت تلك الورقة منطلقًا لهذا البحث.

وكان الله في عون الجميع

علي بن إبراهيم النملة

الرياض ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمهيد: الثنائيات

● يعرِّف قاموس مريام ـ ويبستر الثنائية بأنها:

١ ـ تلك النظرية التي تنظر للواقع على أنه مكوَّنٌ من عنصرين لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر،

٢ ـ هي الحال التي تتكوَّن من طبيعة ثنائية،

٣ ـ أ. صياغة الكون تحت مبدأين متضادَّين؛ احدهما خيرٌ والآخرُ شرٌّ،

٣ ـ ب. النظرة إلى الإنسان على أنه مكوَّنٌ من عنصرين لا بُدَّ منهما، كالروح والمادَّة.

1: a theory that considers reality to consist of two irreducible elements or modes,

2: the quality or state of being dual or of having a dual nature,

3. a: a doctrine that the universe is under the dominion of two opposing principles one of which is good and the other evil,

3. b: a view of human beings as constituted of two irreducible elements (as matter and spirit). [1]

- وحول هذه التعريفات الثلاثة نَظَر، من حيث الرؤية التأصيلية للحقيقة والحال والكون بين الخير والشرِّ والإنسان بين المادِّية والروحانية. على أنَّ لكلِّ توجُّهٍ فكريٍّ نظرتَه للثنائية انطلاقًا من النظرة للحياة، بما فيها من ثنائيات قد يراها بعض المفكِّرين من المتناقضات، وما هي منها. وهذا ما يمكن نقاشه بتفصيل في هذا البحث.

- وفي موضوع الثنائيات (Duality or Dualism, 1794ac) المتناقضة أو المتضادَّة «غير المتقابلة» - سواءٌ أكان هذا التناقُض أو التضادُّ طبيعيًّا أم كان مصطنعًا ومفتعلاً - يحتاج النقاشُ فيه إلى شيء من التفصيل في النظر إلى طبيعة الأشياء. تقول سمر الديوب: «تجتمع في النفس البشرية إذن ثنائيَّات ضدِّيَّة، يمكن عدُّها كامنةً في أغوار النفس الإنسانية. فالحياة غريزة واضحةٌ الأثر في حركاتنا وسكناتنا، والموت غريزة ماثلة أمام أعيننا، والسواد والبياض موجودان جنبًا إلى جنبٍ في الحياة. ويمكن القول: إنَّ مظاهر الحياة كلها هي نتيجة ذلك التجاذُب بين قطبي هذه الثنائية»[2].

---

(١) انظر في تعريف الثنائية http://www.merriam-webster.com/true-or-false/index/htm: (١٦/ ١١/ ١٤٣٦هـ - ١/ ٨/ ٢٠١٥م).

(٢) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. - عالم الفكر. - ع ١ مج ٤١ (يونيو - سبتمبر ٢٠١٢م). - ص ٩٩ - ١٢٦. - والنصُّ من ص ٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ويرى الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٩ ـ ٢٥٥هـ) أنَّ طبيعة الثنائية الضدِّية هو نظام الحياة المعيشة، «وأنَّ مكوِّنات الوجود تقوم بأمور ثلاثة: منسجم ومتغاير ومتضادّ، وتعود هذه المستويات الثلاثة إلى ثنائية الثابت والمتحوِّل. ويقول «تلك الأنحاء الثلاثة كلُّها في جامدٍ ونام» أي ساكن ومتحرِّك. وتعلِّق الباحثة غيثاءُ قادرةُ على قول الجاحظ هذا بقولها: «وعلى الرغم من ذلك لم يُظهِر الجاحظ ما هو الجامد وما هو المتحرِّك النامي، ولم يوضِّح أنَّ النموَّ يناهض الجمود، وأنَّ الحركة تجُبُّ السكون، وأنَّ أثر الثنائيات في نفس قائلها كبيرةٌ وبُعدُها النفسي واضح»[(١)].

- وتقول أيضًا في مقام آخر: «تقوم الثنائية، بوصفها فكرة فلسفية، على فكرة أنَّ ثمة قدرةً على الربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة، فالتضادُّ رابطة مثل التماثل، والتناقُض رابطة؛ لأنه يعني نفي النقيض، فوجود النور ينفي وجود الظلام؛ لذا يدخل النور والظلام في علاقة تناقض، أما وجود الأبيض فيتضادّ مع الأسود، فالعلاقة بينهما علاقة تضاد، فالحالتان المتضادتان إذا تتالتا، أو اجتمعتا معًا في نفس المدرك، كان شعوره بهما أتمَّ وأوضح. وهذا لا

(١) انظر: الجاحظ. الحيوان. ـ ١: ٢٦. ـ نقلاً عن: غيثاء قادرة. الثنائيات الضدِّيَّة وأبعادها في نصوص من المعلَّقات. ـ مجلَّة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ـ ع ١٠ (صيف ١٣٩١هـ. ش/ ٢٠١٢م. ـ ص ٢٥ ـ ٤٦.

يَصْدُق على الإحساسات والإدراكات والصور العقلية فحسب، بل يصدق على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة. فالحالات النفسية المتضادة يوضح بعضها بعضًا، وبضدِّها تتميَّز الأشياءُ. وقانون التضادّ أحدُ قوانين التداعي والتقابُل»[1].

- والحديث هنا لا يركِّز على الثنائيات الضدِّية، كما هو الشائع في الأدب العربي. فقد أُشبع هذا الموضوع بحثًا في القرآن الكريم[2] والشعر العربي القديم[3] والحديث،[4] بل النقاش يتعدَّى هذا إلى ثنائياتٍ أشمل.
- وفي نقاش الثنائيات في هذا البحث يتَّضح قدرٌ من التكرار في ذكر الأفكار، مما يفرضه التداخُلُ في استجلاب ثنائيات ذات ارتباط بأخرى. فلزم التنويه إلى أنَّ هذا التكرارَ مقصودٌ، إذ قد يفرضه السياق.
- وليست هذه الوقفات حول الثنائيات حصريَّةً، بل إنَّ المحيط

---

(١) انظر: سمر الديوب. الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم. ـ دمشق: وزارة الثقافة، الهيئة العامَّة السورية للكتاب، ٢٠٠٩م ـ ص٥.

(٢) انظر: مازن موفَّق صديق الخيرو. الثنائيات الضدِّيَّة في سورة الرعد. ـ آداب الرافدين. ـ ع ٥٧ (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م). ـ ص ١١٧ ـ ١٣٥.

(٣) انظر: سراته البشير. الخطاب الشعري والثنائيَّات الضدِّية. ـ ديوان العرب. (١/ ١٠/ ٢٠١٥م). ـ diwanalarab.com.

(٤) انظر: أحمد العرود. الثنائيَّات الضدِّيَّة في شعر «عرار»: قصيدة «نور نسميهم» نموذجًا. ـ الروَّاد. (١٧/ ١٢/ ١٤٣٦هـ/ ١/ ١٠/ ٢٠١٥م). ـ rooad.com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثقافي والحياتي يزخر بالثنائيات التي تكون بعضها طبيعية وبعضها مصطنعة. ومنها:

- تلك الثنائيات التي تلتقي ويُراد لها أنْ تلتقي، ومنها:
- ثنائيات تلتقي ولا يُراد لها أنْ تلتقي، أو يُراد لها ألاَّ تلتقي،
- وثنائيات لا تلتقي ويُراد لها أنْ تلتقي ولكنها لن تلتقي،
- وثنائيات لا تلتقي وتبقى لا تلتقي، وهكذا.

- وهناك أيضًا من الثنائيات من مثل:

١ ـ ثنائية الوجود والفناء،

٢ ـ وثنائية المصالح والمفاسد،

٣ ـ وثنائية الحرِّ والبرد،

٤ ـ وثنائية المُظهر والمُضمر،

٥ ـ وثنائية الوعي واللاوعي،

٦ ـ وثنائية الشعور واللاشعور،

٧ ـ وثنائية الرأي والرأي الآخر،

٨ ـ وثنائية الحرِّيَّة والعبوديَّة،

٩ ـ وثنائية الرجاء والخوف،

١٠ ـ وثنائية الغِنى والفقر،

١١ ـ وثنائية البَصَر والعمى،

١٢ ـ وثنائية النفع والضرر،

١٣ ـ وثنائية الكرم والبُخل،

١٤ ـ وثنائية الصدق والكذب،

١٥ ـ وثنائية الحبِّ والكُره أو البُغض،

١٦ ـ وثنائية الإيمان والكفر،

١٧ ـ وثنائية العلم والجهل،

١٨ ـ وما بينهما من ثنائية التعالُم المذموم والتجاهُل المحمود،

١٩ ـ وثنائية السلف والخلف في الفكر الديني،

٢٠ ـ وثنائية العزائم والرُّخَص في أداء العبادات والمعاملات، فإنَّ الله تعالى يحبُّ أنْ تؤتى رُخصُه كما يحبُّ أنْ تؤتى عزائمُه،

٢١ ـ وثنائية اليُسر والعُسر، ومع كلِّ عُسر يُسران،

٢٢ ـ وثنائية التنازُع والتدافُع في الاختصاصات، عند أهل الأصول وغيرهم، وغيرها من الثنائيات التي ترد تباعًا.

● وفي تعريفٍ للثنائية الضدِّية أنها: تقوم على فكرة البنيوية، تلك النظرية الاجتماعية الأنثروبولوجية اللغوية التي ترى أنَّ جميع عناصر ثقافة الإنسان يمكن فهمها من خلال العلاقات التبادُلية، وكيف تتصرَّف من خلال نظام أعمَّ أو من خلال البيئة العامَّة. ونواجه الثنائية الضدِّيَّة في الدراسات الثقافية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند الكشف عن الفروقات بين مجموعات من البشر، مثل الطبقات العليا والطبقات الدنيا، أو المَعوْقين وغير المعوْقين. ويظهر أنَّ هذا مجرَّد تنميط، أما الذي يجعلها ثنائيَّة ضدِّية فهو فكرة أنها لا تتعايش مع بعضها ولا تلتقي ولو أُريد لها أنْ تلتقي.

- وهذا تقريبٌ لما عرَّفتها به بعض الموسوعات الأجنبية على النحو الآتي: Binary opposition is a key concept in **structuralism**, a theory of sociology, anthropology, and linguistics that states that all elements of human culture can only be understood in relation to one another and how they function within a larger system or the overall environment. We often encounter binary oppositions in cultural studies when exploring the relationships between different groups of people, for instance: upper-class and lower-class or disabled and non-disabled. On the surface, these seem like mere identifying labels, but what makes them binary opposites is the notion that they cannot coexist».

- والتضادُّ في النقد العربي القديم مرادفٌ للطِباق والتكافؤ. وتحدَّث عنه أبو هلال العسكري (٣٠٨ ـ ٣٩٥هـ) في كتابه الصناعتين، أنَّ الطباق أو المطابقة هي «الجمع بين الشيء وضدِّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من

بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحرّ والبرد».[1] ولا يركّز هذا البحث على الثنائية الضدِّيَّة في الأدب العربي، بل لا يتوسَّع فيما توسَّع فيه باحثون في هذا المجال، ويتخطَّى ذلك إلى البحث في ثنائيات ذات مدلولات أشمل من الضدِّيَّات.

- ومن هنا فإنه يمكن القول إنَّ ما ورد ذكره من الثنائيات في هذا البحث إنَّما خضع لأسلوب الانتقائية لا محاولة الحصر. وجاءت الانتقائية فيما يرى الباحث أنها ثنائيات أثارت جدلاً ـ وما تزال ـ بين أهل العلم والفكر والفلسفة، وأنها طُوِّعت للثقافة التي ينطلق منها مَن يتصدَّون لها. وبعضها في طرحها لا يخلو من الهوى أو التعمية أحيانًا إلى حدِّ التضليل. فكانت المحاولات لوضع الأمور في نصابها من منطلق تأصيلي لا يخلو من الانتماء الثقافي، ولكنها محاولاتٌ لم تُخضع النقاشَ للهوى ـ في زعم الباحث ـ .
- وعلى أيِّ حال فإنَّ الطبعة الأولى من أيِّ عملٍ علميٍّ أو فكري تكاد تكون الطبعة «التجريبية». فإذا ما قُرئت هذه الأفكار وورد للباحث صداها ونقدها وتقويمها فإنَّ ذلك حريٌّ بصقلها وتهذيبها بمراجعتها بالحذف أو الإضافة، شأن

(١) انظر: أبو هلال العسكري. الصناعتين. ـ ص ٣٣٩. ـ نقلاً عن: غيثاء قادرة. الثنائيات الضدِّيَّة وأبعادها في نصوصٍ من المعلَّقات. ـ مجلَّة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥ ـ ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي طبعةٍ تاليةٍ لأي عمل تُنشر فيه الأفكار، فتتحوَّل إلى معرفة عامَّة مُشاعة قابلة للنقد والتمحيص.[1] وهذه من ميزات نشر الأفكار والرؤى حين يتَّسع صدر الكاتب أو الباحث للنقد ويتقبَّله بقبول حسن، ويثق أنه إنما يُراد لها أنْ تحسِّنَ من الطرح وتضفي عليه من القبول ما لم يكن حاضرًا في الطبعة الأولى «التجريبية».

- وهذه دعوةٌ صريحةٌ للتفضُّل على الباحث بتزويده بالرؤى والأفكار والتقويمات التي تُثري الموضوع وتجعله أقربَ إلى الكمال، وإنْ لم يصل إلى الكمال ولا يُنتظر له أنْ يصل إليه، على حدِّ قول القاضي الفاضل (٥٢٦ ـ ٥٩٦هـ) في كتابه «خطابه» للعماد الأصفهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧هـ): «إني رأيتُ أنه لا يكتُب إنسانٌ كتابًا في يومه إلاَّ قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسن، ولو قدِّم هذا لكان أفضلَ، ولو تُركَ هذا لكان أجملَ. وهذا من أعظم العِبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر».[2]

---

(١) M. J. Ziman, Public Knowledege. - Cambridge: Cambridge University Press, 1968.

(٢) انظر: ياقوت الحموي. مُعجمُ الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)/ راجعته دار المعارف العمومية بمصر. ـ ٢٠ ج في ١٠ مج. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت. (نسخة مصوَّرة من مطبوعات دار المأمون بمصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م). وتُنسب هذه العبارة للعماد الأصفهاني، وهي للقاضي الفاضل كتب بها للعماد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأوَّل

ثُنَائِيَّاتٌ مُتَلازِمَةٌ

التمهيد

- من الثنائيات ما هو متلازمٌ ويتعذَّر فصله، وهذه فطرةٌ فطر اللهُ الناس عليها. فهي في تلازمها كالجناحين للطير، لا يطير إلاَّ بهما معًا وإنْ راوح بينهما في طيرانه. ومن ثمَّ فإنَّ تلازُمهما كالجناحين للطائرة، وإنْ راوح الطيَّار في محرِّكاتها. ولذا فإنَّ تلازُمها لا يعني حضورها دائمًا في وقت واحد، بل قد يطغى أحد طرفي الثنائية على الآخر. وقد يدخل في طغيان أحدهما على الآخر التركيب النفسي للفرد أو البُعد التربوي أو الاكتساب الثقافي أو البيئة الاجتماعية. وبعض هذه الثنائيات المتلازمة لا تنفع فيها تربية ولا ثقافة ولا البيئة الاجتماعية إلا بالحدِّ منها، وليس بالضرورة بتغليب الحسن منها على السيئ. وتلازمُها على أيِّ حال لا يعني تزامُنَها.

ثنائية الأمر والنهي

- في سبيل قيادة هذا الإنسان إلى حياة أفضل في دنياه وآخرته كان لا بُدَّ من توجيهه الوجهة التي تضمن له هذه الحياة الأفضل وتلك الحياة الأسمى. وتمثَّلت هذه التوجيهات بالأوامر والنواهي DOS & DONTS. وهي ثنائية متلازمة، فلا تنفكُّ الأوامر عن النواهي. ولا بُدَّ للناس أنْ يأمروا ويأتمروا ويتناهوا فينتهوا وقد لا ينتهوا. فيأتمرون بما ينفعهم ويتناهون عمَّا يضرُّهم. وقد لا يتناهون عن منكر يفعلونه، وهذا خلاف المراد وله تبعاته السيئة. وما يُتداول من الوصايا العشر كلُّها نواهٍ عن فعل الكبائر. وأخلاق الحرب وآدابها التي صدح بها الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ لا تقلُّ عن عشرة آداب، كلُّها نواهٍ عن الإضرار بغير المحاربين.[1]
- وفي سبيل ضبط هذه الثنائية جاءت الكتُب السماوية لتدلَّ الإنسان على ما ينفعه وتنبِّهه إلى ما يضرُّه. ولم يترك هذا الأمر لاجتهادات البشر؛ بحكم محدودية هذا العقل الذي حباه الله للإنسان، فجعله لا يُحيط بكلِّ شيء وإنْ سعى لذلك، وله ذلك دون الخروج على نواميس الكون، ولكن

---

(١) انظر: محمد إقبال الناطي الندْوي. أخلاقيات الحرب في الإسلام. ـ الرباط: المنظَّمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ١٩٦ ص. وانظر أيضًا: أحمد أبو الوفا. أخلاقيَّات الحرب في السيرة النبوية: دراسة مقارنة مع القواعد الحاليَّة للقانون الدولي الإنساني. ـ القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٣٢٢ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من خلال التدبُّر والتفكُّر والتعقُّل. وكلُّ هذه السمات مِنَحٌ من الله تعالى يُطلب من الإنسان أنْ يستعملها فيما فيه خيره وخير غيره. ولم يأمر الشارع الحكيم إلا بما فيه منفعة ومصلحة، ولم ينهَ إلا عمَّا فيه مضرَّة ظاهرة أو باطنة.

- وهنا تبرز الحكمة في إملاء هذه الأوامر والنواهي، لتكون الأوامر بالمعروف وتكون النواهي عن المنكر. ثم يكون من ضبط هذه الأوامر والنواهي ما يكفُل تطبيقها في المجتمع؛ لتأتي قوَّة السلطان لملاحقة الخارجين عن هذه الثنائية بفعل نقيضها، أي بالأمر بالمنكرات والنهي عن المعروفات، وتشرَّع لهذه التجاوزات العقوبات الرادعة.
- يقول شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٦هـ): «وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم وجود بني آدم. فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله ويَنْهَ عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، ويُؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، ويُنه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، وإلا فلا بُدَّ أن يأمر وينهى ويُؤمر ويُنهى إما بما يُضادُّ ذلك، أو بما يشترك فيه الحقُّ الذي أنزل الله بالباطل الذي لم يُنزلْه الله». (١)
- ولا يقوم بتطبيق هذه العقوباتُ من حيث الحكم والتطبيق إلا

---

(١) انظر في هذا: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، أبا العبَّاس تقيَّ الدين. مجموع الفتاوى/ جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد. ـ ٣٧ مج. ـ الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ٢٨: ١٦٩.

أولو العلم والسلطان ومن يُنيبه، دون الاعتماد على الحماسة والعاطفة والاندفاع. يقول القاضي أبو يعلى (٣٨٠ ـ ٤٥٨هـ) في المعتمد: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمرُ به فقيهًا فيما ينهى عنه رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به حليمًا فيما ينهى عنه».[١] ومن هنا كان المطلوب في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر خصال مجتمعة قد لا تتوافر جميعها في كلِّ البشر. وهي العلم والرفق والتحمُّل والصبر والحلم. فـ«العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كلُّ الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال».[٢] ولذلك عدَّ علماء الإسلام ثنائية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الجهاد في سبيل الله.

ثنائية العقل والقلب

- العقل والقلب في الإنسان ثنائية متلازمة، إذ لا بُدَّ منهما في أيِّ سلوك. إنما المطلوب مع هذا التلازُم غلبة العقل على القلب في حالات، وغلبة القلب على العقل في حالات. فلا القلب يُعطَّل ولا العقلُ يعطَل تمامًا. ومن الجدليات في هذه

---

(١) انظر في هذا: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، أبا العبَّاس تقيَّ الدين. مجموع الفتاوى. ـ المرجع السابق. ـ ٢٨: ١٣٧.

(٢) انظر في هذا: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، أبا العبَّاس تقيَّ الدين. مجموع الفتاوى. ـ المرجع السابق. ـ ٢٨: ١٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثنائية المتلازمة النظر في تغليب أحدهما على الآخر، فيُذكر أنَّ العنصر النسائي ربَّما غلب عليه تحكيم القلب أو العاطفة على العقل، بينما الغالب في الذكور تغليب العقل على العاطفة.(١) ولا مصادرة لوجود هذه الثنائية «العقل والعاطفة» في الجنسين بالفطرة، ولا تعميم في مثل هذه الأحكام.

- ولا مصادرة في وجود ثنائية القوَّة والضعف في كلا الجنسين. والمتداول انطباعًا أنَّ المرأة أضعف من الرجل، ومن ثمَّ فالرجل أقوى من المرأة، فإذا تقوَّت المرأة استرجلت وإذا ضعُف الرجل تأنَّث. وهذ ادِّعاء يحتاج إلى تأمُّل وإعادة نظر، إذ إنَّ القوَّة لا تتأتَّى بالبناء العضلي، فتلك قوَّة ظاهرة ومطلوبة في الرجال لتحمُّل البناء الفعلي للمجتمع، ولكن قوَّة الرجال الجسمانية لا ترقى إلى مستوى أنْ تتحمَّلَ حالات المخاض عند النساء للتمثيل فقط. على أنَّ في الرجال قدرًا من الضعف، كما في النساء قدرًا من القوَّة. وقد قال الشاعر نزار قبَّاني (١٣٤٢ ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٢٣ ـ ١٩٩٦م):(٢)

لمْ تستطيعي بعدُ أنْ تتفهَّمي أنَّ الرجَالَ جميعَهم أطفالُ

---

(١) انظر: جون غراي. الرجال من المرِّيخ والنساء من الزهرة: الدليل الرائع لفهم الجنس الآخر/ ترجمة حمود الشريف. ـ الرياض: مكتبة جرير، ١٩٩٢م. ـ ٢٨٦ ص.

(٢) من قصيدة له بعنوان تلميذة، ومطلعها:

قلْ لي ولو كذبًا كلامًا ناعمًا قد كاد يقتلني بك التمثالُ
ما زلتِ في فنِّ المحبَّة طفلةً بيني وبينكِ أبحرٌ وجبالُ
لم تستطيعي بعدُ أنْ تتفهَّمي أنَّ الرجالَ جميعَهم أطفالُ)

● والذي يظهر للباحث أنَّ قوَّة المرأة في ضعفها وضعف الرجل في قوَّته، فالمرأة قويَّةٌ إذا ضعُفت والرجل ضعيف إذا تقوَّى. وليس الشديد الصُرْعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».(١) وكثيرًا ما ملكت النساء أنفسهن عند الغضب. وغالبًا ما يثور الرجال غضبًا فتتصدَّع البيوت. وخلاف ذلك هو خلاف الأصل. وهذه الثنائية محصورةٌ في التفرقة بين الرجل والمرأة من حيث القوَّة والضعف في المعنويات والأخلاق والسلوكيات لا في الجسمانيات.

ثنائية الرضا والغضب

● وقد تدخل في هذا السياق من الثنائيات المتلازمة ثنائية الرضا والغضب أو السخط، لكن ليس في مجال المقارنة بين الذكور والإناث، لكنها سليقة موجودةٌ في الجنسين، فإذا رضي الشخص عن آخر أو عن شيء أبدى محاسنه وتجاهل مساوئه، وإذا غضب أو سخط على أحدٍ أو شيء أبدى مساوئه وتجاهل محاسنه. وهذه نظرةٌ ذاتية يقودها الهوى، ولا تقودها النظرة الموضوعية. فعند كلِّ الناس محاسنُ ومساوئ. وفي كلِّ الأشياء كذلك محاسن

(١) رواه البخاري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومساوئ. وعند بعض الناس قد تغلب المحاسنُ على المساوئ، وعند آخرين العكس. وكذا الحال في الأشياء. وقد قال عبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب على الصحيح، كما في كتاب الماوردي أدب الدنيا والدين:[1]

وعينُ الرضا عنْ كلِّ عيبٍ كَليلةٌ
ولكنَّ عينَ السُّخْط تُبدي المَساويا

- وقمَّة الرضا رضا الرحمن، ثم رضا الوالدين. أما رضا الناسِ جميعهم فيبدو حقًّا أنها غايةٌ لا تُدرك، مع أخذ رضاهم بالاعتبار دائمًا. ومن رضي عنه الرحمن أرضى عنه الناس، ومن سخط عليه الرحمن أسخط عليه الناس. هكذا هي سنة الله تعالى في بني آدم. بل إنَّ من أرضى الناس بسخط الله سخط عليه الله وأسخط عليه الناس ولم يرضَ عنه الناس. ومن أرضى الله تعالى بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ولم يسخطْ عليه الناس. وهذا من منطوق الأحاديث النبوية الشريفة.[2]

---

(١) وتمام الأبيات وفيها من الثنائيات الضدِّية ما لا يخفى على القارئ:

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يهابُني ... ولستُ أرى للمرءِ ما لا يرى ليا
فإنْ تدنُ مني تدنُ منك مودَّتي ... وإنْ تنأ عنِّي تلقني عنكَ نائيا
كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحنُ إذا مِتْنا أشَدُّ تَغانيا

(٢) عَنْ عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر عَنْ عائِشةَ رضي الله عنها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ. وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ). رواه ابن حبَّان في صحيحه.

ثنائية الإخلاص والصواب في الأداء

- والإخلاص والصواب في أيِّ أداء من الثنائيات المتلازمة التي لا يغني أحدُها عن الآخر، ولا ينفكُّ أحدُها عن الآخر. فلا الإخلاص وحده يكفي، ولا الصواب وحده يكفي. وكثير من الأخطاء المنهجية التي تُرتكب في أداءٍ ما ربَّما تتَّسم بفقدان أحد هذين العنصرين في الأداء نفسه. وقد يُفقدُ كلاهما وهو من النادر، ويمكن أنْ يكون حاضرًا عند بعض الموظَّفين المُحبطين وبعض العاملين لخدمة الآخرين، فيعملون من دون إخلاصٍ ولا صواب.
- على أنَّ الإخلاص غير قابل للقياس المادِّي، وإنما تعين عليه بعض الشواهد. أمَّا الصواب فهو دافعٌ لأداء مَقيس، فمن اتَّبع معطيات النجاح والتحقيق في أيِّ أداء فقد كان قريبًا جدًّا من الصواب. ومن غلب عليه الإخلاص من منطلق عاطفي غير مدروس فغالبًا يخونه الصواب.
- أمَّا ثنائية الصواب والخطأ، من حيث اعتبارُ الأمر صوابًا أو خطأً ففيها نقاش يطول، وهو اعتبار نسبي مادام من كلام البشر. ويغترُّ من يرى دائمًا أنه على صواب وأنَّ غيره دائمًا على خطأ. ومن المهم أنَّ هناك أخبارًا تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ. ولذا يعرِّف علماء البلاغة الخبر بأنه ما يحتملُ الصدق والكذب، أو الصواب والخطأ. ومن الخبر الرأي فهو قابل للصواب والخطأ. ولا تعصُّب للرأي مادام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه حاله. وأفضل ما قيل في هذا المجال ما يُنسب للإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) ـ رحمه الله ـ قوله: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، ولعلَّه لم يثبُت عنه. وما يظهر أنه ثابتٌ عنه قوله: «ما كلَّمتُ أحدًا قطُّ إلا أحببتُ أنْ يوفَّقَ ويُسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعايةٌ من الله وحفظٌ. وما كلَّمتُ أحدًا قطُّ إلا ولم أُبالِ بيَّن اللهُ الحقَّ على لساني أو لسانه». (١)

ثنائية القوَّة والأمانة في المهمَّات

- ومن الثنائيات الوظيفية المتلازمة في الأشخاص المراد لهم قيادة قطاع إداري أو تجاري أو أيِّ قطاع يقتضي صنع القرارا، ويستلزم وجود مسؤوليات وصلاحيات وإمكانات إدارية وبشرية ومالية، ثنائية القوَّة والأمانة، قَال تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦). وهي ثنائية متلازمة في هذا الشأن فلا تكفي إحداهما دون الآخرى، ولا تُغني إحداهما عن الآخرى.
- والقوَّة وحدها في غياب الأمانة مدعاة للفساد؛ لأنها قد تُستخدم في غير ما يتوقَّع لها أنْ تُستخدم فيه؛ لما تتَّسم به

(١) انظر: موقع أهل الحديث الإلكتروني. (دُرر للإمام الشافعي في آداب المناظرة). (٢١/ ١٠/ ١٤٣٦هـ ـ ٦/ ٨/ ٢٠١٥م).

القوَّة من القدرة على التأثير والقدرة كذلك على صنع القرار. والأمانة وحدها دون توافُر عنصر القوَّة قد لا تُفهم على ظاهرها، بل قد يُنظر إليها ـ في ضوء التسابُق إلى الفساد الإداري والمالي ـ على أنها ضعف وغفلةٌ في الشخص الذي أوكلت إليه المسؤوليات، فيؤتى من قبله، ويسوء استغلال أمانته. على أنَّ الأمانة في العمل لا تعني السذاجة والطيبة الزائدة، كما يصنِّفها بعض من يتلبَّسون بالخُبث الإداري.

ثنائية الدين والخلُق في العلاقات

- ومن الثنائيات المتلازمة في قيام العلاقات الأسْرية متلازمة أو ثنائية الدين والخُلُق فيمن يتقدَّم للزواج من الشباب. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ). (١) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ). (٢)
- والذي يظهر أنَّ الخُلُق جزءٌ لا يتجزَّأ من الدين والدين الخُلُق. ورسول الله ﷺ قد تخلَّق بالدين، فعبَّرت عنه أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنهما ـ

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه برقم، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالقرآن الكريم، عندما سُئلت عن خُلُق الرسول ﷺ فأجابت: كان خُلُقه القرآن.[1] إلاَّ أنَّ التوكيد على الخُلُق مع ذكر الدين جاء ـ فيما يظهر ـ فيما يكون فيه الفردُ متديِّنًا دينًا ظاهرًا ولمَّا يدخل الإيمان في قلبه بعدُ، والناس ليس لها إلا الظاهر. وقد لا ينعكس تديُّنه على خُلُقه في تعامُلاته الأسْرية، بل ربَّما في تعامُلاته مع الآخرين. وهذا نقصٌ واضحٌ في الإيمان. والإيمان يزيد وينقُص. وهذه الحال في نقص الخُلُق مع التديُّن الظاهر مما يُشاهد في بعض المجتمعات، التي لم يصل فيها الإيمان في بعض النفوس إلى العُمق الذي يغطِّي الخُلُق.

ثنائية الولاء والبراء

- ومن الثنائيات المتلازمة ذات العلاقة بالمفهوم الإسلامي للسياسة «السياسة الشرعية» ثنائية الولاء والبراء. والأصل في انتماء الإنسان لبيئته أنْ تكون في عنقه بيعة لولي الأمر. والبيعة تقتضي الولاء لولي الأمر بالسمع والطاعة في غير معصية، والبراء مما يخالف منهج ولي الأمر أو يناصبه العداء ظاهرًا أو باطنًا.[2]

---

(١) حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْ عَنْ عَنْ قَالَ: سَأَلْتُ عائشة (ر) عن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. حديث مرفوع ورقمه ١٢٩.

(٢) انظر في مناقشة مفهوم الولاء والبراء من منطلق علمي/ شرعي: مُحَمَّد بن سعيد بن سالم القحطاني. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٤٧٦ ص.

- وواقع الحال في عصرنا هذا أنَّ مفهوم الولاء ـ من حيث التركيز عليه في الثقافة السياسية في الوسط الإسلامي تحديدًا ـ ضعيفٌ جدًّا، مما نتج عنه قدرٌ من التمرُّد على ولاة الأمر. في الوقت الذي ركَّزت فيه بعض الجماعات على البراء، لا البراء من أعداء ولي الأمر، لكن من ولي الأمر نفسه، حينما رسخ هذا المفهوم لدى بعض الجماعات ورسَّخته في أدبيَّاتها، أنَّ وليَّ الأمر نفسَه يدخل في خانة البراء، فجعلت موقفها من وليِّ الأمر موقفًا غير قائم على مفهوم البيعة؛ لأنه عند بعض هذه الجماعات لا يرقى إلى مستوى أنْ تكون له بيعة أو يكون له ولاء، بل هو إلى البراء أقرب! لأنه عند بعض هذه الجماعات لا يحكم بما أنزل الله. وتستدلُّ بقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، مما سوَّغ الخروج عليه والدعوة إلى مناهضته ومحاربته، حتَّى لقد قيل إنَّ المواطن يشعر بأنَّ الحاكم لا يعمل لمصلحته ولا لمصلحة الوطن، وأنَّ المواطن في عيون الحاكم لا يُكِنُّ له الولاء.

- وهذا الفهم الخاطئ سهَّل بدوره فكرة الخروج على الحاكم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالعنف أحيانًا، وسوَّغوا لهذا الخروج ـ في رأي الباحث ـ بالعنف تسويغاتٍ كلّها تصبُّ في نزع الولاء.[1] تلك النزعة جعلت هذه الجماعة أو تلك تميل إلى الأبعاد «الثورية» غير المصرَّح بها لفظًا، حتَّى لو أدَّى هذا إلى ليِّ أعناق النصوص وتغليب التسميات الشرعية التي تصبُّ في تأييد هذا المنحى. ففضَّلت الجماعة أنْ يكون اسم سورة التوبة هو سورة براءة بدلاً من الأَشْهرِ في التسمية وهو سورة التوبة، وإنْ كان اسم براءة مشهورًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ١).

- وفضَّلت هذه الجماعة أو تلك أنْ تسمِّي سورة محمد بسورة القتال، وسورة محمد هي الأشهر وإنْ كانت التسمية للسورة بسورة القتال مشهورةً، فَنَحَتِ الجماعةُ إلى تسمية المشهور على الأشهر وهي سورة محمد. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٢٠) وقد يقال إنَّ التسميتين

---

(١) انظر: حاتم بن عارف بن ناصر الشريف. الولاء والبراء بين الغلوِّ والجفاء في ضوء الكتاب والسنَّة. ـ في: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. السجلُّ العلمي لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب: مؤتمر عالمي عن قضايا الإرهاب والعنف والغلوّ نظَّمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١ ـ ٣ ربيع الأوَّل ١٤٢٥هـ/ ٢٠ ـ ٢٢ أبريل ٢٠٠٤م. ـ ٥ مج. ـ الرياض: الجامعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢: ٤٦٣ ـ ٤٩٧.

المشهورتين للسورتين وهما براءة بدلاً من التوبة، والقتال بدلاً من محمد ليستا بحقٍّ مشهورتين وإنما المعتمد، في المصاحف المعتمدة، هو سورة التوبة وسورة محمد. ولا يدخل الباحثُ في جدال في هذه الجزئية، فالتفصيل والترجيح يعود إلى أهل الاختصاص من أرباب علوم القرآن الكريم؛ من باب أعطِ القوس باريها.

- وخرجت من المجتمع الواحد عناصر قدَّمت ولاءها لأعدائها، فوالت الأعداء وبرئت من الأهل والوطن، وأضحت معاولَ هدم للوطن وقيادته، دون أنْ تشعرَ عند فئة منها بذلك شعورًا مباشرًا، بل إنها تعتقد أنها تُحسن صُنعًا، وتستشهد بالآيات والأحاديث والآثار نفسها التي يستشهد بها علماء الأمَّة المعتبرون، ممن يدركون مفهوم ثنائية الولاء والبراء إدراكًا صحيحًا، بحسب ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيِّه محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى الذي فَهِمه سلف هذه الأمَّة.

- أما الفئة التي تعلِّم هذا المنهج في الولاء والبراء وتقبض عليه المنافع المادِّية والمعنوية، فهذه لا اعتبار للولاء ولا للبراء عندها؛ فإنما هي قد باعت وطنيَّتها وإنْ احتفظت بمواطنتها، وجعلت من مفهوم «العمالة» منهجًا لها دون أنْ تعترف بهذا، فهي في زعمها تسعى إلى التغيير واللحاق بركب الحضارة المعاصرة التي تستحقُّ عند هذه الفئة الولاءَ لها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولأربابها. وهي فئة موجودة وهي مقتنعة بما تقوم به في الظاهر، على الأقلِّ. ولذا فهي خارجة عن مفهوم الولاء والبراء من منطلق السياسة الشرعية، وتكاد تنفي وجوده على واقع اليوم السياسي، على اعتبار أنه مفهوم يعود إلى زمن الرجعية والتخلُّف والماضوية وما إليها من تعبيرات إقصائية.

- وواقع الحال أنَّ ثنائية الولاء والبراء موجودة في واقعنا السياسي اليوم في شتَّى المجتمعات الحَضَرية التي يحكمها نمطٌ من الحكم الحديث، سواءٌ أكان حكمًا ديمقراطيًّا أم كان عسكريًّا انقلابيًّا أم كان تعاقُديًّا، أم أيَّ نوعٍ من أنواع الحكم. فالتابعون للأحزاب السياسية يمارسون هذه الثنائية بما يعود على الحزب بالنفع. وقد يقتصر البراء لدى هذه الفئات على البراءة من تعاليم الأحزاب الأخرى، دون إعلان الحرب الفعلية عليها، بل يُقتصر على الحرب الكلامية الإعلامية. وتختلف هذه الممارسات بحسب البيئة السياسية التي تبرز فيها ثنائية الولاء والبراء، وبحسب التطبيق الفعلي لمفهوم الديموقراطية. ولطالما زرعت الأحزاب القسرية عيونها بين الناس ترصد ولاءهم القسري للحزب بالقمع والتضييق والتهميش، مما زاد من هجرة الناس عن مواطن الأحزاب القسرية، فساحوا في الأرض يلتمسون الرزق والأمن والأمان.

ثنائيات في الإدارة

- ويمكن أنْ يكون من هذه الثنائيات المتلازمة في مجال الإدارة ثنائية الاقتناع والإرادة في مدى جدوى الأنظمة والقوانين واللوائح والضوابط في إدارة المشروعات والبرامج قبل الشروع في تنفيذها. وعوامل الفشل في كثيرٍ من المشروعات والبرامج تعود ـ في الغالب ـ إلى فقدان أحد عنصري هذه الثنائية أو كليهما في حضور الجدوى والعلَّة أو الحكمة المبتغاة من وراء المشروع، ولا يغني أحدهما عن الآخر.

- ويبدو هذا واضحًا في حال العزلة بين التخطيط والتنفيذ، إذا كان المخطِّطون في وادٍ يميل إلى المثالية والتحليق، بينما المنفِّذون هم الذين يعرفون الواقع ويمارسونه ويدركون ظروفه وإمكانات تطبيق المشروعات والبرامج عليه. وما لم يشارك التنفيذيُّون في رسم المشروعات والبرامج فإنَّ هذا التجاهُل مدعاة لانعدام الإرادة والاقتناع أو ضعفها على أقلِّ تقدير.

- ولا تقتصر هذه الثنائية على المشروعات الكبرى والخطط والاستراتيجيات في الإدارة العامَّة، بل إنَّ سلوكيَّات المرء في مواجهة مشروعاته الخاصَّة وخططه السريعة مع ذاته وبيئته وأهله ومن يحيط به، تحتاج إلى قدرٍ عالٍ من الإرادة والاقتناع. ويمكن أنْ يطبّق الفردُ هذه الثنائية فيما يعنُّ له من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متطلَّبات التغيير أو السير على نمط مختلفٍ عمَّا كان يسير عليه في العادية، فيلفظ التغيير ويرفضه، ويفضِّل بقاء الأمر على ما هو عليه. ومن أبرز أسباب هذا الرفض ضعف توافُر ثنائية الاقتناع والإرادة لديه.

- وفي التخطيط الاستراتيجي تلتقي ثنائيات شبه متلازمة، كالفُرص Opportunities والتهديدات Threats ـ وربَّما سمَّاها البعض المخاطر Risks وهي إلى التهديدات أقرب ـ التي قد تواجه أيَّ مشروع يُخطَّط له، إذ لا فُرصَ دون تهديدات في الأعمال التي تُحال من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ.(١)
- وكذلك من الثنائيات المتلازمة في هذا الشأن عناصر القوة وعناصر الضعف، ومثلها عنصرا، أو ثنائية البيئة الداخلية والبيئة الخارجية للمشروع، وعنصر ثنائية المعنيّين بالمشروع، من حيث المنفِّذون والمستفيدون داخل المشروع وخارجه. فهذه ثنائيات في التخطيط الاستراتيجي متلازمة، لا يُنظر إلى تأثير جزءٍ منها بمعزلٍ عن تأثير الجزء الآخر، وإنْ تفاوت مدى التأثير بينها.

---

(١) انظر: الفرص والمخاطر: إدارة عدم التأكُّد. ـ ص ١٦٣ ـ ١٦٩. ـ في: روبرت جي ويتمان وماتياس بي رويتر ورينانه ماجيرل. التخطيط الإسترتيجي: كيف تحصل على أقصى قيمة باتِّباع استراتيجية أعمال فعَّالة/ ترجمة بسمة ياسين. ـ القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠١١م. ـ ٢٠٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفَصْلُ الثَّانِي

ثُنَائِياتٌ تَلْتَقِي

ثنائية الشرق والغرب

- وهناك ثنائياتٍ الأصلُ فيها أنْ تلتقي كونيًّا ومنطقيًّا، وإرادة الله تعالى اقتضت أنْ تلتقي، وفي التقائها عمران الكون. فالشرق لا يلتقي بالغرب من حيث الجهة ـ كما سيأتي ذكره ـ لكنَّ أفكار الغرب تلتقي بأفكار الشرق، من حيث القدرة والإمكان والضرورة والبناء والتواصُل الثقافي والتعايُش، خلافًا لمن لم يُرد ـ ولا يريد ـ أنْ يلتقي الغرب بالشرق، مثل الشاعر الإنجليزي روديارد كيبلنج (١٨٩٢ ـ ١٩٣٦م) بمقولته المشهورة إنَّ الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولا يلتقيان. يقول: «الشرقُ شرقٌ والغربُ غربٌ ولا يلتقيان أبدًا».(١)

(١) انظر: حسن الأمراني. أيُّها الغرب أين مشرقك؟. ـ ص ١١٦. ـ في: مصطفى سلوي. الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي. ـ وَجْدَة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م. ـ ١٦٦ ص.

- وتكملة قصيدة روديارد كيبلنج «حتَّى تقف الأرض والسماء حاضرين أمام عدالة الله الكبرى فوق العرش (حيث) ليس هناك شرقٌ ولا غربٌ ولا حدودَ ولا اختلافَ بين الجنس والمولد، حيث يقف اثنان من الرجال الأشدَّاء وجهًا لوجه، وإنْ أقبلا من أواخر الأرض».[1] وفي التنزيل الحكيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥). ولم يكنْ روديارد كيبلنج وحيدًا في زعمه هذا، بل سبقه من قبله أقوام، من أمثال الفيلسوف المستشرق الفرنسي إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م)،[2] ولحقه بعده أقوامٌ آخرون ويلحقه أقوامٌ آخرون غيرهم، ليس فقط من الغرب، بل إنَّ في الشرق من لا يريد أنْ يلتقي بالغرب.
- والشاعر روديارد كيبلنج يعني بهذا أنَّ الشرق والغرب لا يمكن أنْ يلتقيا ثقافيًّا، فسيظل الشرق شرقًا، متخلِّفًا بمعطياته الفكريَّة والثقافيَّة والحضاريَّة ـ أو غير الحضارية ـ المحدودة والبدائية، وسيظل عالةً على الغرب ينهل من مَعينه الحضاري. وسيظل الغرب غربًا، بمعطياته الثقافيَّة

---

(١) انظر: أكبر، أحمد. الإسلام تحت الحصار/ ترجمة عزَّت شعلان. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤م. ـ ص ٥٣.

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون: موسوعة في تُراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتَّى اليوم. ـ ٣ مج. ـ ط ٥. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م. ـ ١: ١٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحضاريَّة المتقدِّمة، يغذِّي العالم النامي أو الثالث أو الجنوب، بما أوتي الغربُ من حكمة وتقدُّمٍ تقاني وفكري، ومقدرة على التفكير والتخطيط.(١)

- ولا يُتوقَّع أنْ يخصَّ الشاعر العِرْقِي روديارد كيبلنج شرقًا دون شرق، فالشرق عند الغرب من منطلق عِرقي كلُّه شرقُ، دون تخصيص الشرق الإسلامي أو الشرق الأقصى أو الشرق الأدنى، فهذه كلُّها عند العرقيين يجمعها ثقافيًّا لفظة شرق. وعندما يتحدَّث كريس باتن، آخر حاكم لمستعمرة بريطانية هونج كونج (١٩٩٢ ـ ١٩٩٧م) عن الشرق والغرب فإنه يقصد بالشرق هنا الشرق الأقصى، بحكم خبرته بهذه البقعة من الشرق. ورغم جاذبية عنوان الكتاب إلا أنه اقتصر على انطباعات الحاكم السابق ورؤاه تجاه هذه الجزيرة الواعدة، دون أنْ يكون فيه ـ على أهمِّيته ـ ما يشبع رغبات الباحثين في هذه الثنائية الأزلية.(٢)

افتعال الافتراق

- لا تقرُّ هذه الوقفاتُ هذا المنهج في نفي الالتقاء، وإيجاد

---

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. ـ القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ص ١٨٦.

(٢) انظر: كريس باتن. شرقٌ وغربٌ: السلطة والحرِّيَّة والمستقبل/ ترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ـ أبو ظبي: المركز، ٢٠٠٣م. ـ ٣٧٣ ص. ـ (سلسلة دراسات مترجمة؛ ١٣).

الفجوات المدنية بين الأمم، ولا تراه منهجًا سويًّا يُسهم في عمارة الأرض والاستخلاف فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: ٧). والواقع يتطابق مع الوحي.

- والباحثون عمّا يطفئ هذه الثنائية سلبًا يميلون إلى الالتقاء والتعارُف والتحالُف والتنافُس، وجميع صيغ التفاعُل الإيجابية، دون التنازُل عن الثوابت والخصوصيات الثقافية، في ضوء الدعاية غير المجدية للعولمة الثقافية.[1] وسيجدون ضالَّتهم في الوحي المنزَّل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم في آثار العلماء والمفكِّرين من الشرق والغرب، من منطلق مقولة الشاعر والفيلسوف الألماني يوهان فولفجانج جوته (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢م): «إنَّ الشرق والغرب لله وليس لهما أنْ يفترقا بعد الآن».[2] وهو الشاعر نفسُه الذي يقول:

إنْ يكُ الإسلامُ معناهُ القنوت فعلى الإسلامِ نحيا ونموت

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصيَّة والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٤٦ ص.

(٢) انظر: حسن الأمراني. أيُّها الغرب أين مشرقك؟. ـ ص ١١٦. ـ ص ١١٦. ـ في: مصطفى سلوي. الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة: يوم دراسي. ـ مرجع سابق. ـ ١٦٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنطق جوته في التقاء الشرق بالغرب هو المنهج الذي يتبنَّاه هذا البحث.

- والذين لا يرغبون في الالتقاء يطلقون بعض الأقوال التي تؤجِّج العداء والتباعُد والتضادَّ الثنائي[١] (Polarities or Binary Opposition)[٢]، أو الثنائية الضدِّيَّة،[٣] بل والتنافُر والتباغُض.[٤]

- بينما واقع الحال أنها ـ بإرادة الله تعالى في تصريف هذا الكون ـ يُرادُ لها أنْ تلتقي، لا سيَّما مع انتفاء الجهوية اليوم، في ضوء تلاقي الأمم في الاتصال التقاني الذي حطَّم جميع وسائل الانعزال والفردانية الثقافية والفوقية الحضارية، وجعل الثقافات تتلاقح فيما بينها، في صورة لم تكنْ في ذهن أولئك الذين أرادو للشرق والغرب ألاَّ يلتقيا، أو بعبارة

---

(١) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

(٢) انظر: http://study.com/academy/lesson/binary-oppositions-in-literature-list-of-examples.html.

(٣) انظر: سمر الديوب. الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم. ـ مرجع سابق. ـ ١٦٧ ص. www.alkotob.

(٤) انظر: علي بن إبراهيم النملة. صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٤ ص. وانظر أيضًا: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٢١٤ ص.

سلبية في ظاهرها: أولئك الذين لم يريدوا ـ ولا يريدون ـ للشرق والغرب أنْ يلتقيا.[1]

- وإنْ تحفَّظ بعضُنا على التلاقُح بين الثقافات، وأكَّد على الخصوصيَّة الثقافية والاستثناء الثقافي ـ وحُقَّ له ذلك ـ[2] فلا بدَّ ألاَّ نتحفَّظ على التفاهُم والتعارُف والتحالُف، بين الثقافات وعمارة الأرض والاستخلاف عليها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (الحجرات: ١٣).

- فالناس لم يُخلقوا ليختلفوا، بل خلقهم الله تعالى ليعمروا هذا الكون واستخلفهم عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة: ٣٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾. (الحديد: ٧). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ

---

(١) انظر: السيد أمين شلبي. العداء بين الإسلام والغرب عنوانٌ مبسَّطٌ لفرضيَّةٍ معقَّدة. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٩١٢٥ (٣٠/١٠/١٤٣٦هـ ـ ٨/١٥/ ٢٠١٥م). ـ ص ٢٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصيَّة والعولمة. ـ مرجع سابق. ـ ٤٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾. (ص: ٢٦). والاعتقاد أنَّ الذين لا يرغبون في الالتقاء إنَّما يقودهم الهوى.

- على أنه من المهمِّ قبل مغادرة هذه الفقرة، التوكيد على أنَّ هناك تعبيرًا اصطلاحيًّا مُتداولاً بين عدد من المفكِّرين والكُتَّاب الشرقيين والغربيين يجمع بين الإسلام والغرب على أنهما ثنائيتان متضادَّتان أو ثنائيتان ضدِّيَّتان. وهنا جمعٌ بين غير مجتمعَين، إذ الإسلام لا جهةَ له ولا حدود، وهو موجودٌ في الغرب والشرق. والغرب لفظٌ جِهَوي يمكن تحديده افتراضًا، على التفصيل في ذلك.

- وأحسِبُ أنَّ هذا الإطلاق غير الدقيق يخلط بين المسلمين في الشرق، والغربيين في الغرب في ثنائية مفتعلة، وينظر إلى الإسلام على أنه دين الشرقيين فقط، وغيره من الأديان السماوية هو دين الغرب فقط. هكذا هي هذه الثنائية الضدِّية وإنْ لم يُصرَّح بها علنًا. فليبقَ الإسلام للشرقيين مع بقيَّة المِلل والنِّحل الشرقية، وليبقَ للغرب دينه المحصور في دور العبادة شكلاً، حتى لو سمحت الدساتير والقوانين الغربية بحرِّيَّة العبادة.

- ومن هذا المنطلق وبنظرة متحيِّزة تسعى إلى إقصاء الإسلام يُحاكم الفكر الغربي ممثَّلاً بالإعلام وبعضُ المستشرقين

الإسلامَ بأفعال المسلمين، ولا يُحاكم المسلمين بأحكام الإسلام، فيجعل تصرُّفات بعض المسلمين حجَّةً على الإسلام، والأصل أنْ تكون أحكامُ الإسلام حجَّةً على تصرُّفات المسلمين جميعاً في الشرق والغرب.

- وواقع الحال أنه ليس كلُّ ما يدور في المجتمع المسلم يُعزى للإسلام، لا سيَّما ما فيه تشويه للإسلام، وإنْ تسمَّت بعض المجموعات فيه بأسماء ذات دلالات إسلامية. بل هي ممارسات من تلك المجموعات نشأت ـ أو أُنشئت ـ في مجتمع مسلم، فانتسبت أو نُسبت للإسلام.

- وليس لهذه الحركات والتنظيمات ما يبرِّرها، وإنْ تكن لها ـ في نظر مؤسِّسيها ومنظِّريها ـ أسبابها المعقَّدة التي تداخلت فيها ظروف داخلية وخارجية جعلت من المنطقة تلتهب في مشروع طويل المدى، تؤجِّجه عناصر تلتقي في مصالح آنية وبعيدة. وليس المجال هنا التفصيل فيها.

ثنائية الكُلِّي والجُزئي

- ولدينا ثنائية ليست متضادَّة ولا متناقضة، بل قد تكون متداخلةً في ذاتها، إلا أنها مفترقة في واقعها المراد، مثل ثنائية الكلِّيات والجزئيات، أو ثنائية التفكير الكلِّي والتفكير الجزئي، من حيث النظر إلى الأحكام وعللها في مختلف العلوم والمعارف، ومنها الفقه وأصوله. فواقعها المراد هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنَّ التركيز عليها بصفتها ثنائيةً أخذ بعدًا تخصُّصيًّا، من حيث التركيز الكلِّي أو الجزئي. وفي حال فهم الحياة الدنيا والآخرة والأهداف منها والتعامُل معها هناك من ينظر إليها بالكلِّية، وآخرون ينظرون إلى جزئياتها ودقائقها. فالمناطقة والفلاسفة والحكماء مثلاً ينظرون غالبًا إلى الكلِّيات في تصريف هذا الكون؛ لأنهم يغوصون في البحث عن الحكمة (أو العلَّة) من وراء كلِّ شيء ويغوصون في المقاصد. فهم إلى التفكير الكلِّي أقربُ منهم إلى التفكير الجزئي.

- وعلماءُ أصول الفقه اليوم مثلاً ينظرون إلى الكلِّيات في أحكام الشرع، من حيث عللُها وحكمتُها ومقاصدُها. وعلماء الفقه أو الفقهاء والمفتون ينظرون إلى أحكام الجزئيات، من حيث أداؤها وممارستُها في حياة الفرد والمجتمع في «فقه العبادات وفقه المعاملات»، أو «فقه العبادات والمعاملات، مثلاً». ولذا فالكلِّيات والجزئيات تأتي هنا بحسب المخاطَب، إذ إنَّ الكلِّيات يخاطب بها غالبًا خاصَّة الناس من العلماء وعلماء أصول الدين بوجهٍ أخصَّ مع بقيَّة علماء الدين والدنيا. والجزئيات يُخاطب بها غالبًا عامَّة الناس، يهتدون بالأحكام الجزئية في تسيير حياتهم وتيسيرها.

- وعلى أيِّ حال فالكلِّيَّات تقتضي الجزئيَّات. والجزئيات هي التي تتكوَّن منها الكلِّيات. وتنبثق الجزئيات من الكلِّيات،

وتنبثق عن الجزئيات جُزيئيات، فليس بين هذه الثنائية تناقُضٌ أو تعارُض أو تضادٌ، كما قد يظهر لبعض المحلِّلين، والذين يتعمَّقون في الكلِّيات لا تفوت عليهم الجزئيات، وكذا المتعمِّقون في الجزئيات لا يغفلون الكلِّيَّات.[1]

- ولهذا اشترط الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي (توفِّي سنة ٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات لتحقيق الاجتهاد في الشريعة: المعرفة بمقاصدها وكلِّياتها، يقول: إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتَّصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني: التمكُّن من الاستنباط بناء على فهمه فيها.[2]

- يقول الشيخ يوسف القرضاوي في موقعه: «وهذا لا يتأتى إلا بسعة الاطِّلاع على النصوص، وخاصة الأحاديث والآثار، والتعمُّق في معرفة أسباب ورودها، وملابسات وقوعها، والغايات المتوخَّاة منها، والتمييز بين ما هو عامٌّ خالدٌ منها، وبين ما بُني منها على عُرفٍ قائم، أو ظرفٍ

---

(١) انظر: عبدالجبار النجَّار. الإصلاح الفكري تحيينًا للمعرفة: رؤية تأصيلية. ـ ص ٥٩ ـ ٨٦. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ مرجع سابق. ـ ٢٩٦ ص.

(٢) انظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة/ تحقيق عبدالله دراز. ـ القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م. ـ ٤: ١٠٥ ـ ١٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زمنيٍّ موقوت، أو مصلحةٍ معيَّنة، فيتغيَّر بتغيير العُرف أو الظرف أو المصلحة». (١)

- وعندما يقول الأصوليون ـ بالمعنى الإسلامي للأصولية ـ مثلاً: إنَّ مقاصد الأحكام مصالح الأنام، فإنهم يتحدَّثون عن عموم الأحكام وكلِّياتها التي يجب أنْ تصبَّ في مصالح الأنام، فإنْ لم تَصُبَّ في مصالح الأنام فليست هي من الأحكام. والقواعد الأصولية «الكلِّية» كثيرة، ومنها القاعدة الأصولية ذات العلاقة بالمصالح، يقرِّر علماء أصول الفقه أنَّ درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح. ويترك التفصيل في هذه القواعد الأصولية لأهل الذِّكر الذين يعلمون.
- ثم يأتي علماء الفقه أو الفقهاء والمفتون ويطبقِّون هذه القواعد الكلِّية على جزئيات سلوكية للفرد أو الأفراد أو المجتمعات، أي أنهم ينقلون هذا القول المجمل الكلِّي إلى التفصيل الجزئي على واقع المسائل التي تعنُّ للناس. وتكون هذه القاعدة الكلِّية هي منطلقَهم، وإنْ لم تكن حاضرةً في نصِّها. وهم بهذا يبيِّنون الأحكام الجزئية للمسألة، أو يُفتون فيما لم يتبيَّن فيه نصٌّ صريح، متَّبعين في هذا أصول الفتوى وقواعدها وضوابطها.
- فعليه؛ لا تعارُض بين هذه الثنائية ـ إنْ كانت ثنائيةً ـ ولا

---

(١) انظر: يوسف القرضاوي. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. ـ القاهرة: دار الشروق.، ـ ١٦٤ ص.

تناقُضَ ولا تضادَّ، بل هو تداخلٌ؛ لأنَّ القواعد العامَّة والكلِّيات في الدين مربوطة بفهم السلف الصالح لمقاصد الدين من خلال النصوص، فلا يلجأ العالم إلى المقاصد إلا إذا افتقد للنصِّ.[1] ولا مقاصدَ أخرى مع صريح النصِّ. وعلى أيِّ حال لا يتوسَّع في هذه المسألة إلا الراسخون في العلم الشرعي بنصوصه ومقاصده وكلِّياته وجزئياته.[2]

- على أنه من المهم التوكيد أنَّ علماء ذلك الحين (السلف) كانوا في الغالب محيطين بالكلِّيات والجزئيات بالتزامُن، فعالِمُ ذاك الحين كان أصوليًّا وفقيهًا ومفتيًا ولُغويًّا وعالمًا بالحديث الشريف ومصطلحه وقسمة المواريث (الفرائض) وقدر من الحساب. وقد يكون شاعرًا ناقدًا عالمًا بالأخبار والآثار. أي أنه كان إلى حدٍّ كبير عالمًا موسوعيًّا.
- وقد اقتضت ضرورات هذا العصر ـ مع تفريع المعرفة وظهور حقول معرفيَّة تراكُمية وشبه جديدة ـ أنْ يميل الخلف إلى التخصُّص، ثم التخصُّص الدقيق، فيكون العالمُ ملمًّا بالكلِّيات ـ مثلاً ـ دون أنْ يكون له باع واضحٌ في الجزئيات، ودون أنْ يكون له إلمامٌ تامٌّ باللغة وأسرارها،

---

(١) انظر: أحمد الريسوني. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي/ تقديم طه جابر العلواني. ـ ط ٤. ـ هيريندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٣٨٣ ص.

(٢) انظر: يوسف أحمد محمد البدوي. مقاصد الشريعة عند ابن تيمية. ـ عمَّان: دار النفائس، ٢٠٠٠م. ـ ٦٠٨ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإنْ استقام لسانه وبَنانُه، مع أنه لا يستقيم علمه الشرعي ما لم يكن له حظٌّ وافر من اللغة، بنحوها وصرفها وبيانها ومعانيها وبديعها وأسرارها. فتضاءلت في هذا العصر ـ بفعل أنظمة التعليم الحديثة ـ الموسوعيةُ الفرديةُ وقلَّ العلماء الموسوعيُّون، ونَحَا الناس إلى أدقِّ التخصُّصات في شتَّى العلوم.(١)

- بل لا يستقيم علم العالِم عمومًا ما لم يكن ملمًّا بلسانه، ولن تنهض الأمَّةُ إذا هي لم تنهض بلغتها. «وقد أثبتت التجارب المعاصرة أيضًا أنه لا نهضة لأمَّةٍ إلا بلسانها، ولنا في اليابان ونمور آسيا دليلٌ على ذلك، رغم أنَّ كثيرًا من لغاتها لا تبلغ من الرصيد المعرفي والثقافي، ولا من الرصيد البشري في الاستعمال حتى اليوم، بعض ما للِّسان العربي».(٢)

ثنائية الروحي والمادِّي

- وأعمق من ثنائية الكلِّي والجزئي، مع أنَّها ثنائية عميقة، هو افتعال التضادِّ بين المادِّي والروحي، وأنهما لا يلتقيان، فإمَّا

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الموسوعات الفردية: المسيري أنموذجًا. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٢هـ. ـ ١٢٦ ص. ـ (سلسلة كتاب المجلَّة العربية؛ ١٧٤).

(٢) انظر: حسن الأمراني. تحيين المعرفة وشروطها. ـ ص ٤٥ ـ ٥٧. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ مرجع سابق. ـ ٢٩٦ ص.

المادَّة أو الروح. فجاءت الأديان في الأصل ترسِّخ ضرورة تلاقي المادَّة والروح، وأصرَّ الإنسان بإرادته على الفصل بينهما في اليهوديَّة والنصرانية تحديدًا، ثمَّ بعض الفلسفات التي نزعت النزعة الصوفية بمعناها الأعمِّ، فنزع كثيرٌ من اليهود إلى المادَّة، فأصبحوا يعبدون الدرهم والدينار، ونزع كثيرٌ من النصارى إلى الروح، ودعوا إلى الرهبنة والتبتُّل والبقاء في المعابد، ونبذ العلمنة بالخروج إلى الحياة وممارسة الوظائف البشرية في التزاوج والتكاثر وعمارة الأرض مما يتعارض مع تعاليم الكنيسة كما جعلوها.[1] فكان هناك افتعال للصدام بين ثنائية التبتُّل والتعلمُن. وكل هذا لم يكنْ بفعل تعاليم اليهودية والنصرانية الحقَّة، بل كان وما يزال بفعل بعض أتباع اليهودية والنصرانية المتعاقبين أنفسهم.

- ولم يقتصر هذا التزاوُج في هذه الثنائية على الأديان التي جاءت لتتوافق مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، بل إنَّ بعض الفلاسفة ممن لم يكونوا على علم بالدين كانت لهم إسهامات في هذه المزاوجة، كزرادشت وماني وغيرهما. وقد شطحت بهما الأفكار غير المؤصَّلة في إعطاء الروحانية

(١) انظر: سايروس ابن المقفع (٢٩٨هـ/ ٩١٠م ـ أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). مصباح العقل/ تقديم وتحقيق الأب سمير خليل. ـ القاهرة: مطبعة العالم العربي، ١٩٧٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والماديَّة والنور والظلمة ـ وهما ثنائيتان طبيعيتان ـ أكثر مما أُعطي لهما من وظائف كونية، فلا النور للخير والصلاح والسرور والنظام، ولا الظلمة للشرِّ والفساد والضرر والغمّ.[1] ولا للنور إله، ولا للظلمة إله ـ كما عند الإغريق ـ وإنما هما آيتان من آيات الله تعالى لهما وظائفهما في بناء هذا الكون واستقامته، إذ لا يعمر الكون بفقدان أيٍّ منهما، ولا تناقُض بينهما، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فهما مكمِّلان بعضُهما لبعض، ولا يستغني أحدهما عن الآخر.

ثنائيات عرقيَّة: البيض والملوَّنون

- وما دام الحديث يَرِدُ عن الإغريق فقد قسَّم الإغريق بني الإنسان إلى ثنائية عرقية تتمركز حول الأنا والآخر، وتقوم على عرق الإغريق وعرق البرابرة، فالعرق الإغريقي هم أحرار الطبيعة، والبرابرة هم عبيد الطبيعة.[2] ولعلَّ هذه الثنائية تفسِّر شعور الغرب إلى اليوم بالفوقية والتعالي على الشعوب الأخرى، التي ربَّما نُظر إلى بعضها على أنها

---

(١) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

(٢) انظر: عبدالله إبراهيم. المطابقة والاختلاف: بحثٌ في نقد المركزيات الثقافية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٩٤. ـ نقلاً عن: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب: السلطة ـ المعرفة ـ السرد ـ التأويل ـ المرجعيات. ـ عمَّان: دار غيداء، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ص ١٩ ـ ٢١.

أنصاف بشر Subhuman، بينما أحرار الطبيعة أنصاف آلهة Superhuman وهو ما يتماشى مع الانطباع العرقي في أنَّ الرجل الأبيض تحديدًا نصف إله، ومَن غيرَه من الناس أنصاف بشر.

- والفيلسوف الألماني جورج فيلهلم فريدرك هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١م) مثلاً يذكر «الشرق والشرقيين بنعوت قاسية، جاعلاً منهم حيوانات متوحِّشة؛ لأنَّ الألفاظ التي استخدمها والأوصاف التي وصفهم بها مثل (نزوة، شراسة، انفعال متهور، وحشي، ترويض) وغيرها مما ورد في خطابه»،[١] كانت تتردَّد في زمانه وبعد زمانه. وتستقي هذه الرؤى من أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م.) في كتابه السياسات،[٢] حيث قسَّم العالم إلى أحرار أو متمدِّنين بالطبيعة وعبيد أو همجيِّين أو متوحِّشين بالطبيعة.[٣]
- وهذا فيما يبدو هو الذي ولَّد ثنائية المركز والمحيط أو المحور، أو المركز والأطراف. فالمركز أو المحور كان هو الغرب الأوسط أو أوروبَّا الغربية، والأطراف أو المحيط هو

---

(١) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٤.

(٢) انظر: أرسطو. كتاب السياسات/ نقله عن الأصل اليوناني إلى العربية الأب أوغوسطيس بربارة البولسي. ـ بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، ١٩٥٧م. ـ ٥٢٠ ص.

(٣) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما عداها. ثمَّ ربَّما تحوَّل المركز، بالإضافة إلى الغرب الأوسط، إلى الغرب الأقصى أو أمريكا الشمالية، والأطراف أو المحيط هو ما عداها، بما فيها الغرب الأوسط أو أوروبَّا الغربية التي كانت هي المحيط، لتستمرَّ هذه الثنائية القائمة على العرقية في الأصل، وإنْ تلبَّست بلباسات العصر التقانية والعلمية. وهذا ما دعا الفيلسوف الألماني إدموند هوسِرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨م) إلى القول بأنَّ «أوْربَة كلِّ البشرية هو مصير الأرض».[١]

- وقد تتمركز الفكرة العرقية اليوم حول ثنائية التحضُّر والتخلُّف، فالمتحضِّر هو المركز، والمتخلِّف هي الأطراف أو المحيط. كما هي فلسفة هيجل ومن تابعه من العرقيين،[٢] مرورًا بإرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) وفريدريش نيتشه (١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م) وبينيتو أندريا موسوليني (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥م) وأدولف ألويس هتلر (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) ويوسف «جوزف» ستالين (١٨٧٨ ـ ١٩٥٣م) والسموأل فيليبس هنتنجتون (١٩٢٧ ـ ٢٠٠٨م) وبرنارد

---

(١) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية: الاستشراق، القرآن، الهُوية والقيم الدينية عند العرب والغرب واليابانيين Modern Studies of Religion From Western Centrism to Cultural Relativism. ـ تونس: الدار المتوسِّطية، ٢٠١٠م. ـ ص ٣٢.)

(٢) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٣ ـ ٢٥.

لويس (١٩١٦) ودانييل بايبس (١٩٤٩)، ومن سيأتي بعدهم وهم كثير من المصرِّحين الواضحين أو غير الظاهرين.

- ومن هنا ظهر المفكِّر والقائد الشيوعي الإسباني كلاوديو صنتشيث البورنوث (١٨٩٣ ـ ١٩٨٤م) رئيس حكومة الجمهوريين في المنفى ليعزو تخلُّف إسبانيا عن ركب الحضارة الغربية والتاريخانية الغربية إلى دخول المسلمين «سحائب الجراد الأفريقي» إليها، حيث أتوا بحضارة ومفهومات متحجِّرة تعوق التقدُّم. ولم تتقدَّم إسبانيا حتى اختلط الدم الإسباني بالعربي من خلال التزاوج، مما أدَّى إلى اندثار الدم العربي.[١] والضخُّ العرقي واضح في هذه المعادلة. ولم يتَّضح تركيب «حضارة متحجِّرة»، إذ إنَّ مجرَّد إطلاق التحجُّر لا يتوافق مع إطلاق الحضارة، فيما يذكر بعض المستشرقين والمستعربين الإسبان أنَّ تقدُّم الغرب إنَّما يُعزى لاحتكاكهم بالمسلمين في الجامعات الأندلُسية والصقلِّية وجامعات الشرق الإسلامي.[٢]

---

(١) انظر: سالم يفوت. حفريات الاستشراق: في نقد العقل الاستشراقي. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م. ـ ص ٩.

(٢) انظر: زيغريد هونكه. شمس الله تشرق على الغرب: فضل العرب على أوربَّا/ ترجمه وحققه وعلَّق عليه فؤاد حسنين علي. ـ القاهرة: دار العالم العربي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ٤٨٧ ص. ـ وانظر فيما له علاقة بالحاضر والمستقبل: التوجُّه الأوروبِّي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم/ ترجمة هاني صالح، تقديم إسماعيل مروَّة. ـ بيروت: مؤسَّسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٩٥ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وانعكست هذه النظرة العرقية الفوقية على القادمين إلى الشرق، ومنهم بعض المستشرقين، حيث «تشكَّلت منه أوصافٌ ساعدت على تكوين صورة جاهزة ومسبقة في المعرفة القبْلية للمستشرق عند زيارته للشرق؛ لإسقاطها عليه؛ وهي البربري المتوحِّش العبد الكافر المتخلِّف الانفعالي».(١) ثمَّ الشهواني العربيد الشّبِق والمتعصِّب. هكذا يصف «الأغلبية الساحقة من الكُتَّاب الأوروبِّيين» الإسلام بأنه دين الشبقية التي لا تعرف حدودًا ولا عوائقَ، مع عدم التسامُح البربري المتوارث.(٢)
- أما الرجل الغربي فهو العاقل المؤمن المدني المتحضِّر المسيطر على مشاعره.(٣) وهو ـ في الوقت نفسه ـ يتحدَّر من تعاليم تحرِّم المتع الجسدية وتعتبر العزوبة مثالاً دينيًّا ممكنًا، والزواج انقيادًا لضعف الإنسان.(٤)

---

(١) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥.

(٢) انظر: خوان غويتيسلو. في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية/ ترجمة كاظم جهاد. ـ الدار البيضاء: دار الفنك للترجمة للغة العربية، ١٩٩٨م. ـ ص ٩٧ ـ ١١١. ـ (الشبقيَّة والتعصُّب: صناعة صورة).

(٣) انظر: مهدي عامل. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٦م. ـ ١١١ ص.

(٤) انظر: خوان غويتيسلو. في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٨.

- يقول خوان غويتسلو (١٩٣١م) في كتابه في الاستشراق الإسباني، وهو يتحدَّث من منطلق عرقي عن ثنائيات إيجابية في مقابل أخرى سلبية: «يكفي في الواقع أنْ نتصفَّح واحدًا من كتب التاريخ حتى نلاحظ الاستخدام الدائم لقاموس مزدوج: فهناك الصفات الإيجابية كلَّما تعلَّق الأمر بالغرب، والمفردات السلبية والحاطَّة كلَّما تعلَّق الأمر بالشرق. يتحدَّثون من جهة عن «التوسُّع» و«رسالة الإحسان» و«نشر الحضارة»، ومن جهة ثانية عن «الغزو» و«الشلَّال [البشري] الجارف» و«هجمة الفلول الهمجيَّة المباغتة».[١] ولذلك يقرِّر إدوارد سعيد (١٩٣٥ ـ ٢٠٠٣م) أنَّ المستشرق ينظر إلى الشرق لا كما هو عليه، بل على ما يريده أنْ يكون عليه.[٢] ومع أنَّ هذه الثنائية متحقِّقة عند جمعٍ من المستشرقين فلا ينبغي إسقاط هذه الرؤية عليهم جميعًا.

- ومع هذا فمن الخطورة تطبيق هذه الفكرة المتطرِّفة في العنصرية والعرقية على الغرب كلِّه، ولكنها سرت في أوساط بعض الفلاسفة الرجال؛ الغربيين البيض تحديدًا والسياسيين العنصريِّين، وأحسب أنَّ آثارها لا تزال باقية

---

(١) انظر: خوان غويتيسلو. في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠٦.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. ـ القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ص ١٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وممارسة، وإنْ لم يصرِّح بها كثيرون. «إنَّ هذه الثنائيات كانت موجِّهاتٍ شكَّلت كُتلةً متجانسةً كوَّنت أفضليَّة الذات جنسًا وتفكيرًا، ودونية الآخر عرقًا وثقافةً، مستحضَرةً في جميع ثنايا التفكير الغربي، وعلى مرِّ العصور». (١)

- وهذا نصُّ المستعرب الإسباني خوان غويتسيلُّو الذي لا يقبل المداخلة في نصِّه، وإلا فإنه من المناسب إضافة عبارة «ومن ثمَّ الغرب دون تعميم بعد نقله عن إدوارد سعيد عن المستشرق، وإضافة «وبعض مفكِّري الغرب» بعد حديثه عن المستشرقين. وإضافة ثالثة إلى قوله: بعض الفلاسفة الرجال عبارة «دون النساء بالضرورة».

ثنائية الاستشراق والاستغراب

- وما دام ذكر الاستشراق قد ورد في هذ الثنائية فإنَّ مما يلوح في الأفق العلمي والفكري ظهور ثنائية الاستشراق والاستغراب. فالاستشراق يدرس الشرق من غربيين ـ هكذا يبدو ـ والاستغراب يدرس الغرب من شرقيين ـ وهكذا يبدو ـ وكان من الاستشراق ما كان من المواقف تجاه الشرق عمومًا، وتجاه الشرق الإسلامي خصوصًا. وكان وما يزال

(١) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢١.

موضع نقاش وجدال حول دوافعه وأهدافه.[1] وقد سبق الاستشراقُ الاستغرابَ في مراحلَ.[2]

- والمؤمَّل ألاَّ يكون الاستغرابُ ردَّ فعلٍ للاستشراق، فلا ينهج الاستغرابُ من باب المعاملة بالمثل وفي النظرة الناقدة للغرب منهجَ الاستشراق في النظرة العامَّة الناقدة للشرق. ولا تكون نظرة الاستغراب للغرب نظرة ذاتية إما تقوم على التهوين من منجزاته أو التهويل منها. بل النظرة التقويمية الموضوعية التي تضع المعيار واضحًا في دراسة الغرب.

- هذا المعيار الذي يقوم على العدل والقصد، ولا يقوم على المعاملة بالمثل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ص ٢٥ ـ ٤٢.

(٢) انظر: سميح فرسون. الاستغراب نقدٌ للغرب. ـ ص ١٤٣ ـ ١٦٧. ـ في: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ٢٠٠٠م. ـ ٣١٩ ص. ـ وانظر أيضًا: حسن حنفي. مقدِّمة في علم الاستغراب. ـ بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ١٨ ـ ١٩. ـ وانظر كذلك: مازن بن صلاح مطبَّقاني. درسنا الاستشراق ونبدأ الآن في دراسة الاستغراب. ـ الجزيرة الثقافية. ـ ع ١٣٢ (٣/ ١١/ ١٤٢٦هـ ـ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥م). ـ ص ١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). هذا مع استحضار الآيات الكريمة التي تحدِّد بوضوح العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من حيث المبدأ. واستحضار الولاء والبراء بالمفهوم الشرعي السليم لهذه الثنائية المتلازمة، دون إغفال جوانب تبادُل المصالح والمنافع.

- وعلى أيِّ حال فقد أُشبع هذا الموضوع بحثًا بين مواقف متباينة منشورة في الفكر العربي. أما الاستغراب فقد بدأ النقاش حوله من عقود، إلا أنه لا يزال وليدًا يحتاج إلى المزيد من الطرح ليرقى إلى أن يكوِّن ثنائية متكافئةً مع الاستشراق.[1]

ثنائية الذات والآخر

- ومن الثنائيات، التي يبدو أنها من أقدم الثنائيات الجدلية، ثنائية الأنا والآخر. ويعتمد النظر إلى هذه الثنائية على من ينظر إليها. فقد برز عددٌ من الفلاسفة ممن زعموا بوجود فوارق بين الأنا والآخر من مطلقات عرقية غالبًا ـ كما سيأتي ـ فالأنا دائمًا ومن منظور فوقي متفوِّقة، والآخر دائمًا ومن منظور فوقي كذلك متأخِّر. وتُعطى للأنا جميع صفات

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب. ـ الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٩١ ص. وانظر للباحث أيضًا: كُنه الاستغراب: المنهج في فهمنا للغرب. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م. ـ ٢٧٥ ص.

الكمال البشري، وتُعطى عادةً جميع صفات النقص والقصور للآخر.

- ومن غير المألوف أنْ يكون الموقف عكسيًّا، حين تعطى جميع النقائص للأنا، وجميع الكمالات للآخر. ومبعث ذلك هو الشعور بالدونية في مقابل الشعور بفوقية الآخرين. وهذا الموقف موجود عند بعض مفكِّري المناطق النامية، الذين يُكثرون من جلد الذات،[1] ويَعزون التخلُّف دائمًا إلى الداخل بمعطياته الثقافية والاجتماعية، دون اعتبار للأيادي الخارجية إنْ وُجدت. وهذه الفئة من جالدي ذواتهم وذات الأمَّة موجودة وتزعم أنها هي التي تفهم الواقع أكثر من أولئك المنتمين.

- وقد تكون هناك عوامل نفسية تملي على الفرد شعوره بالتفوُّق على الآخرين، مما يصدق عليه إطلاق النرجسية Narcissism أو جنون العظمة Megalumania. والنرجسية قد لا تكون مقصورة على الأفراد، بل إنها قد تجتاح بعض المجموعات أو الجماعات التي تتَّسم بها نوازع النرجسية الفردية أو الذاتية.[2] وقد تطرَّقت ساندي هوتشكيس لما أسمته خطايا النرجسية المميتة السبعة وهي ـ دون تفصيل:

---

(١) لا يُفضِّل بعض المفكِّرين المسلمين التعبير بجلد الذات؛ بحجَّة أنه تعبيرٌ كنسيٌّ، ويفضِّل التعبير بالتهوين من الذات.

(٢) انظر: حسن حنفي. التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم. ـ ط ٤. ـ القاهرة: المؤسَّسة الجامعية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٢٨ ـ ٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١ ـ الخزي أو العار، أو عدم القدرة على معالجة العيوب،

٢ ـ التفكير السحري، أي رمي النقائص على الآخرين،

٣ ـ الغطرسة أو التكبُّر وإهانة الآخرين،

٤ ـ الحسد، لشعور النرجسي بالتفوُّق،

٥ ـ الاستحقاق وتبعية الآخر له،

٦ ـ الاستغلال وخنوع الآخر،

٧ ـ الحدود السيئة، أي عدم الاعتراف بالحدود.[١]

● كما فصَّل المفكِّر العراقي عبدالله إبراهيم القول في هذه الثنائية في كتابه المطابقة والاختلاف.[٢] وسبق في ثنايا هذا البحث تعرُّضٌ غير مباشر لهذه الثنائية المفتعلة، بما في ذلك الحديث عن المركز والمحيط أو الأطراف من منطلقات عرقية، تعود في منشئها إلى فلاسفة الإغريق من أرسطو وغيره ممَّن تشبَّعت فيهم النعرة العرقية، فبنوا عليها لابن آدم ذكورًا وإناثًا درجات وطبقات، لم تخلُ منها بقيَّة الثقافات، كالثقافة الهندية التي قسَّمت الناس إلى طبقتين رئيسيتين، جعلت إحداهما أي أدناها أقرب إلى النجاسة.

---

(١) انظر: Sandy Hotchkiss & James F. Masterson. Why Is It Always About You?: The Seven Deadly Sins of Narcissism. -. New York: Free press, 2003. - 214 p.

(٢) انظر: عبدالله إبراهيم. المطابقة والاختلاف: بحثٌ في نقد المركزيات الثقافية. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م. ـ ٧١٢ ص.

ثنائية الشمال والجنوب

- وربَّما جاء من الثنائية العرقية ومن ثنائية الذات والآخر كذلك ثنائية الشمال والجنوب أو خطُّ الشمال والجنوب، تلك الفكرة المحدثة التي سوَّقها المستشار الألماني السابق فيلي برانت (١٩١٣ ـ ١٩٩٢م) سنة ١٩٨٠م في برنامجه الاستراتيجي بعنوان من أجل البقاء. ويشمل الشمال الدول الصناعية الكبرى، مثل:

١ ـ الولايات المتحدة.

٢ ـ كندا.

٣ ـ الدول الأوروبية.

٤ ـ تركيا.

٥ ـ الدولة اليهودية في فلسطين المحتلَّة.

٦ ـ كوريا الجنوبية.

٧ ـ اليابان.

٨ ـ تايوان.

٩ ـ سنغافورة.

١٠ـ أستراليا.

١١ـ نيوزيلندا.

١٢ـ روسيا.

١٣ ـ كازاخستان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ويقطن في هذا القطب خمس العالم (٢٠٪)، والبقية يقطنون الجنوب (٨٠٪). وقد رُسمت خريطة الشمال وأعطيت اللون الأزرق، أما الجنوب فكان نصيبه اللون الأحمر، وجاء هذا التقسيم على غلاف التقرير. وتستحوذ دول الشمال على ٨٤٪ من الاستثمارات الأجنبية، بينما نصيب دول الجنوب ٨٪ فقط. وتستحوذ ١٤ دولة شمالية من مجموعة التعاون والتنمية الاقتصادية على ٨٤٪ من ملكية الشركات العالمية، أي أنَّ ١٥,٦٪ (خمس العالم تقريبًا) من السكان يستحوذ على ٨٠,٦٪ من الناتج الإجمالي العالمي. فالشمال غني والجنوب فقير، والشمال متقدِّم والجنوب متأخِّر، ونسبة الأمِّية في الشمال ٠,٠٪ ونسبتها في الجنوب ٦٥٪.

- وقبله بسنين معدودة كان روبرت ماكنمارا (١٩١٦ ـ ٢٠٠٩م)، المهندس الأول للغزو الأمريكي لفيتنام في الستينات الميلادية، حيث كان يشغل منصب وزير الدفاع في حكم جون كينيدي ثم ليندون جونسون (١٩٦١ ـ ١٩٦٨م)، ثمَّ رأس البنك الدولي، قد قدَّم تقريرًا سنة ١٩٦٩م أشار فيه إلى الفجوة الكبيرة التي تفصل دول الشمال عن دول الجنوب، وكأنَّ تقرير فيلي برانت قد بُني على تقرير روبرت ماكنمارا.[١]

---

(١) انظر: جهاد محمد قربة. الشمال والجنوب!: مفهومٌ أم جغرافيا. ـ مكَّة المكرَّمة: جامعة أمِّ القُرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٤ ص. ـ http:// uqu.edu.sa/page/ar/49437 (٢٤/ ١٠/ ١٤٣٦هـ ـ ٩/ ٨/ ٢٠١٥م).

- وتتوالى تقارير التنمية البشرية السنوية التي يصدرها برنامج الأمم المتَّحدة الإنمائي، فيظهر في كلِّ تقرير اختلاف طفيف جدًّا عن التقرير الذي سبقه، حتى أضحت المقارنة تعود إلى ربع قرن (٢٥ سنة) بدلاً من المقارنة السنوية. على ما في هذه التقارير من ضعف في الموضوعية.[١]

- ويدخل في تصنيف دول الشمال الدول المتقدِّمة والدول الأكثر تقدُّمًا أو الراقية والأقلُّ تقدُّمًا، كما يدخل في تصنيف دول الجنوب الدول الفقيرة والدول الأقلُّ تقدُّمًا والدول النامية والدول المتخلِّفة ودول العالم الثالث، على اعتبار أنَّ هناك عالَمًا أوَّلَ وهي الدول الصناعية أو الدول الرأسمالية أو دول الكُتلة الغربية، وهناك عالَمٌ ثانٍ ويمثِّل الدول الشيوعية أو الاشتراكية سابقًا، كما هناك دول العالم الثالث وتشمل أفقر أقطار العالم من تلك الدول التي خضعت للاحتلال، وهي غالبًا في الجنوب.[٢]

- وليست الفكرة بعمومها من حيث القطبية العرقية جديدة، بل قد تعود إلى بطليموس الفلكي والرياضي (٨٧ ـ ١٥٠م)

---

(١) انظر: جلال أمين. عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ١٤٣ ص. ـ (تقرير التنمية الإنسانية!).

(٢) انظر: مصطفى محمد علي. الشمال والجنوب: الدلالة الجغرافية والاستخدام الدولي المعاصر. ـ مجلَّة جامعة دمشق. ـ ع ١و٢ مج ٢٧ (٢٠١١م). ـ ص ٣٩٣ ـ ٤٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صاحب كتاب المجسطي الذي رسم خريطة العالم مستفيدًا من جهود البابليين. «ورسم سهم الشمال إلى أعلى ليكون شرق الخريطة نحو النجم القطبي».[1]

- وهي كذلك ليست ثابتة ولا دائمة، فهناك دولٌ مصنَّفة على أنها من دول الشمال تُعدُّ الآن من دول الجنوب مثل بعض دول أوروبَّا الشرقية. وفي المقابل هناك دولٌ كانت تُعدُّ من الجنوب هي الآن «ترقى» إلى الشمال من أمثال الدول الآتية:

١ ـ الأرجنتين،

٢ ـ الإمارات العربية المتحدة،

٣ ـ البرازيل،

٤ ـ تشيلي،

٥ ـ روسيا،

٦ ـ الصين،

٧ ـ فنزويلا،

٨ ـ قطر،

---

(١) انظر: مصطفى محمد علي. الشمال والجنوب: الدلالة الجغرافية والاستخدام الدولي المعاصر. ـ مجلَّة جامعة دمشق. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣٩٣ ـ ٤٢٤.

٩ ـ كوبا،

١٠ ـ كوستاريكا،

١١ ـ ليبيا،

١٢ ـ المكسيك،

١٣ ـ الهند.

١٤ ـ وأغفل المرجع المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج العربية التي تمرُّ بمرحلة تنموية ظاهرة لمن يقف على هذه البلدان، فيمكن عدُّها ـ دون تردُّد ـ من هذه الفئة التي ترقى إلى أنْ تصنَّف تنمويًّا بأنها قد أشملت.

● أمَّا على مستوى المدن فإنَّ توزيعها إلى شمال وجنوب حاضر في عدد من الثقافات. ولابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) رأي في المدينة من حيثُ هذا التوزيع. فقد فرَّق في المقدمة الثالثة «في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير في أحوالهم» بين الشمال والجنوب.[١] وفي التعبيرات الشائعة لدى بعض الثقافات تعطى الفوقية لشمال المدينة، وتُعطى الدونية لجنوب المدينة، فيُقال: down-south & up-north.

---

(١) انظر: عبدالرحمن بن خلدون. مقدِّمة ابن خلدون/ تحقيق حامد أحمد الطاهر. ـ القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٧٩٢ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثنائية اليمين واليسار

- ومن الثنائيات المتلازمة لكنها متنافرة في وقتنا الراهن، ثنائية الاقتصاد والسياسة، حيث تقوم السياسة على الاقتصاد، ولا يستغني الاقتصاد عن السياسة. ومن هنا نشأت الأفكار الاقتصادية المرتبطة بالسياسة. فظهرت الرأسمالية من جانب ويمثِّلها في الغرب عالم الاقتصاد الأستكنلندي آدم سميث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠م)، في كتابه التحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم (١٧٧٦م) أو ثروة الأمم.(١) وظهرت الاشتراكية من جانب آخر ويمثِّلها في الغرب والشرق العالم الألماني كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) في كتابه رأس المال.(٢) فصرنا نسمع ونردِّد ثنائية اليمين واليسار. فاليمين يمثِّل البعد الرأسمالي في الاقتصاد والسياسة تبعًا. واليسار يمثِّل البعد الاشتراكي في الاقتصاد والسياسة كذلك.

- وركَّز اليمين نظريًّا على الملكية الفردية. وركَّز اليسار نظريًّا كذلك على الملكية الجمعية. فقامت السياسة لتفرض أيًّا من التوجُّهين، فظهر القطبان: اليمين واليسار أو المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. وظهرت لهما أدبيَّاتهما

---

(١) انظر: آدم سميث. ثروة الأمم/ ترجمة وتحقيق حسني زينة. ـ بيروت: معهد الدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٧م. ـ ٢٦٣ ص.

(٢) انظر: كارل ماركس. رأس المال/ ترجمة راشد البراوي. ـ ٤ مج. ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ومنظِّروهما وأحزابهما ومؤسَّساتهما وأتباعهما والمتحمِّسون لأيٍّ منهما حماسة تفوق حماسة من أسَّسوهما. وظهر التطرُّف في المعسكرين، فجاءت تعبيرات اليسار المتطرِّف واليمين المتطرِّف بين الأتباع، الذين أضحوا يمينيين أكثر من اليمين أو يساريين أكثر من اليسار، كما ظهر اليسار الوسط واليمين الوسط.

- وتبع كثيرٌ من دول المناطق النامية إحدى هاتين التجربتين دونما اقتناع واضح أو إرادة قويَّة أو مشورة شعبية. والذي يظهر أنَّ كلا القطبين، اليمين واليسار، لم يتمكَّنا من إقناع الشعوب في تبنِّي أيٍّ منهما، وإنْ وجدت دعمًا سياسيًا على مستوى القيادات المحلِّية «الحكومات»، التي لم تكنْ بالضرورة مقتنعةً تمامًا بأيٍّ من الاتِّجاهين، فلم تعمل على التطبيق المثالي للمنحيين «التطبيع»، بل ربَّما كانت مستفيدة ماديًّا من منحىً ينفي الاستفادة الشخصية.

- وأثبت التطبيق «التطبيع» للمنحيين وجود مشكلات واقعية، ما أدَّى إلى أنْ يستعير اليمين من اليسار حلولاً لمعضلات اجتماعية، ويستعين اليسار باليمين في إيجاد حلول لتبعات المنحى المُلغي للملكية الفردية، من منطلق «من كلٍّ حسب استطاعته، ولكلٍّ حسب حاجته». ويعني هذا الإخفاق في تطبيق تنظير مثالي في مجتمعات واقعية تسعى إلى كسب رغيف الخبز وأكثر لتعيش.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- وثارت الحرب الباردة بين الطرفين. وجنَّد كلُّ طرف من يتحدَّث باسمه من الأتباع في الأطراف أكثر من المركز. وغلب على المعسكر الشرقي «اليسار» الضخِّ الثوري وكثرةُ ترديد الشعارات وإلهاب الجماهير بالخُطب التي قد تمتدُّ لساعات، يخرج منها الجمهور إلى واقعهم فلا يجدون لتلك الخُطَب أثرًا. فاشتهر عن هذا المعسكر أنه يقول كثيرًا ويفعل قليلاً.

- وفي الجانب الآخر «اليمين» قلَّت الخُطَب، من حيث عددُها ومدَّتُها في المعسكر الغربي «اليمين»، وأُعطي القائد دقائقَ معدودةً ليلقي كلمته، ليخرجَ الجمهور إلى واقعهم فيجدوا أكثر مما سمعوا، فاشتهر عن هذا المعسكر أنه يقول قليلاً ويفعل كثيرًا، ومع هذا فقد نخر الربا في جسد هذا المعسكر. وليس في هذا دفاعٌ عن هذا أو هجومٌ على ذاك، بل هو واقع هذا وذاك.

- ومن هنا بدأ التخلِّي التدرجي وغير المعلن عن أيٍّ من المنحيين. وسبق اليسار اليمين، بمؤازرة من اليمين، في التخلِّي إلى حدِّ الانهيار (١٤١١هـ/ ١٩٩١م). ويمثِّل انهيار سور برلين إشارة عمليةً لانهيار قطبي اليسار واليمين، بصفتهما ثنائيةً أريد لها ألاَّ تلتقي، ومن ثمَّ سيطرة القطب الواحد، رغم أنَّ اليسار ما يزال يتنفَّس. وطفق مفكِّرو السياسة والاقتصاد في القطبين في البحث عن بديل اقتصادي

لا يساري ولا يميني تدعمه السياسة ويكون أكثر واقعيةً، وكثُرت المؤتمرات واللقاءات والندوات وعُرضت فيها الخيارات والبدائل.

- وتمأسست هذه الفكرة من خلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. فتراكمت الديون على دول الجنوب خاصةً وتضخَّمت المديونيات بفوائدها، وعجزت دول الجنوب عن تسديد ديونها فلجأت «المؤسَّسات المالية الدولية إلى فرض تطبيق برنامج التقويم الهيكلي، الذي نتجت عن تطبيقه مشكلات اجتماعية عديدة. وكلُّ ذلك أدّى إلى اتِّسام الهياكل الاقتصادية في كُلٍّ من الشمال والجنوب بعدم التكافؤ في مستوى العلاقات بين القطاعات المختلفة، إذ تحقِّق دول الشمال تكامُلاً واندماجًا بين مختلف القطاعات، في حين ينعدم هذا التكامُل في دول الجنوب، فضلاً عن وجود طابع الازدواجية في دول الجنوب (قطاع تقليدي وقطاع عصري)». (١)

- فالتفتت بعض المؤسَّسات الاقتصادية وبيوت المال إلى النموذج الإسلامي في التعاطي مع الاقتصاد، مع إقصاء الربا الذي أذلَّ الأمم وأدخلها في ديون تراكُمية لا مخرجَ منها،

---

(١) انظر: مصطفى محمد علي. الشمال والجنوب: الدلالة الجغرافية والاستخدام الدولي المعاصر. ـ مجلّة جامعة دمشق. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٩٣ ـ ٤٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودعا إليه عددٌ من الاقتصاديين، وافتتحت بعض المصارف الدولية محافظَ «إسلاميةً» لاستدرار رأس المال الإسلامي في البدايات، فزادت الالتفاتة لهذا النموذج وزاد الإقبال عليه بكلِّ هدوء وتروٍّ، وكثُرت الدراسات الموضوعية حوله، وفتحت بعض الأقسام الاقتصادية العلمية في الجامعات والمعاهد العليا في معاقل القطبين مساراتٍ لدراسة النموذج الإسلامي في الاقتصاد وتدريسه.

- وقد تفضي هذه الالتفاتة إلى تطبيقه ولو بعد حين وعلى استحياء ومقاومة، مما يعني انسلاخ هذه الثنائية اقتصاديًّا. وهو أمرٌ لن يتحقَّق بسهولة، ولن تقبل به بعض الأقطاب من الربويين وغيرهم التي كانت وما تزال مستفيدة فائدةً مباشرة من هذا الوضع المضطرب في كلا المعسكرين الشرقي «اليسار» والغربي «اليمين» وعلى رأس هذه الفئة المستفيدة المرابون الذين يعمدون إلى الإقراض بفوائد تراكُمية.

ثنائية الدين والحياة

- ومن اصطناع الثنائيات التي أُريد لها ألاَّ تلتقي ـ ولا بُدَّ لها أنْ تلتقي ـ فكُّ الدين عن ارتباطه بالحياة، وظهور جدل عَلماني يقول: إنَّ سرَّ تقدُّم الغرب الأوسط والأقصى، جاء بسبب تخلِّيهما عن ماضيهما الذي كانت تسيطر عليه الكنيسة «الدين»، وقَصْرِ هذا الدين على العلاقة بين العبد وربِّه، وإنَّ

تخلُّف المسلمين يعود إلى إصرارهم على التمسُّكِ بدينهم في حياتهم كلِّها. بينما يُعزى تأخُّر العالم الإسلامي إلى تمسُّكِه بالإسلام.

- وهناك في المقابل منطق مناقض مؤدَّاه الإيحاءُ بأنَّ تقدُّم الغربيين ـ في الغرب الأوسط والغرب الأقصى ـ الذي وصلا إليه إنما جاء بفضل تمسُّك غالبية أهلها بالدين.[1] وهذا مستوحىً منطق المنصِّرين المتمسِّكين بدينهم؛ لأهداف وأسباب ليس هذا مجال البسط فيها. بينما وبالمقابل إنَّما جاء تأخُّر المسلمين لأنهم لا يزالون متمسِّكين بدينهم الذي يعيدهم إلى الوراء دائمًا. وهنا التقاء واختلاف، حيث يلتقي المنصِّرون والعَلمانيون على الحكم بتأخُّر المسلمين لتمسُّكهم بالإسلام، ويختلفون في سرّ تقدُّم الغرب بين التمسُّك بتعاليم الكنيسة أو نبذ هذه التعاليم في الحياة.

- وهذا ما صرَّح به إبراهيم فهمي هلال (١٩٣٣م) الأستاذ في جامعة باريس ومؤسِّس جماعة الأمَّة القبطية سنة ١٩٥٢م، في دعوته لأنْ يكون دستور مصر غيرَ ديني، مصريًا لا عربيًا. وكان واضحًا صريحًا في ألفاظه ومعانيه. كما دعا إلى العَلمانية الجزئية بـ«فصل الدين عن الدولة صراحةً في

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ص ٧٠ ـ ٧٢. ومنه جاءت هذه الاقتباسة مع قدر ضئيل من التصرُّف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدستور الجديد، حرصًا على قيام الأمَّة ووحدة أبنائها. وليس معنى هذا التحرُّر من الدين، فليتمسَّك كلٌّ منَّا شخصيًا بدينه. وعلى الدولة رعاية جميع الأديان».[1]

- والمقصود بـ«التحرُّر» من الدين ـ هنا ـ في المجال السياسي «فصل الدين عن السياسة»، فلا سياسةَ في الدين، ولا دينَ في السياسة، وعدم تدخُّل الدين في أمور الدولة في علمانية جزئية أو في أمور الحياة العامَّة في علمانية شاملة.[2] ولا مصادرة هنا للدِّين بعامَّة، ولكنه يبقى للفرد أنْ يمارس دينه على ما يرتضيه في داره أو دور العبادة، دون أنْ يكون له أثر على الحياة العامَّة.

- ويجيب إبراهيم محمود على ذلك ضمنًا بقوله: «وإذا كان هناك من يربط بين المسيحية والتقدُّم، والإسلام والتخلُّف، وأنَّ التقدُّم علامة المسيحية الفارقة، والتخلُّف سمة الإسلام الرئيسية، فمن الجدير بالذكر القول: إنَّ الديانتين في الأصل شرقيّتان. وأنَّ تصنيفهما هكذا غير تاريخي، فالانتشار الثقافي أو الحضاري الذي شهده الإسلام في فترة زمنية طويلة، حيث كانت المسيحية تشهد ظلمات القرون الوسطى

---

(١) انظر: جورج خليل. الأقباط في مصر الحديثة: نظرة في النزاعات القبطية في الأربعينات والخمسينات. ـ الاجتهاد. ـ ع ٣٠ (شتاء ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٣٢.

(٢) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الأوروبية، يؤكِّد مثل هذا التصوُّر: أي عدم ربط التخلُّف بالإسلام والتقدُّم بالمسيحية».[1] فالمؤثِّر هنا مادِّيٌّ أكثرُ من كونه فكريًّا.

- ويضيف إبراهيم محمود قوله: «إنَّ قراءة الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لكلٍّ من العالمين هي التي تسمح لنا بمعرفة لماذا يوجد التقدُّم أو التخلُّف أو يظهر هنا أو يختفي هناك».[2]
- ويُضاف إلى ذلك أنها كلَّها أديان ربَّانيةٌ، فحصل ما حصل للأديان الأخرى من تدخُّل للبشر في النصِّ الإلهي من التوراة والإنجيل، ولم يحصل ـ ولن يحصل بحفظ الله تعالى ـ للبشر أنْ يتدخَّلوا في الوحي من القرآن الكريم وصحيح السنَّة النبويَّة المطهَّرة، ولو حاولوا مرارًا وتكرارًا.
- أما المصادرة التامَّة للدين أيًّا كان فقد تمثَّلت في الإلحاد، الذي بدا واضحًا في المعسكر الشرقي، حيث التحريم والتجريم لإشهار العبادات وبناء دورها علنًا. ولم يُترك للفرد أنْ يعبدَ إلهه أو آلهته سرًّا أو كما يريد، و فرضت مفهوم

---

(١) انظر: إبراهيم محمود. المسيحية والإسلام: تصوُّرات متخيَّلة ورهانات سياسية. ـ الاجتهاد. ـ ع ٣٠ (شتاء ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣. ـ والنصُّ من ص ١٩٥.

(٢) انظر: إبراهيم محمود. المسيحية والإسلام: تصوُّرات متخيَّلة ورهانات سياسية. ـ الاجتهاد. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣. ـ والنصُّ من ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإلحاد القائم على مقولة «لا إله والحياة مادَّة»، فكانت المصادرة التامَّة للدين والتديُّن، على اعتبار أنه أفيون الشعوب،[1] وكما هو الحالُ في بعض الدول التي تبنَّت مفهوم العلمانية اللائكية، ثمَّ سعت إلى تطويع الدين للإلحاد في المجتمعات المتديِّنة، ووجهت الخطاب الشعبي إلى ترسيخ مفهوم الإلحاد بعباءة الدين، وحيَّدت المؤسَّسات الدينية المعتبرة بين الناس.[2]

ثناشية الدين والعلم

- وهذا كلُّه افتعال لصدام ثنائية أخرى لا تريد أنْ تربط بين الدين والعلم، حين حاربت الكنيسة العلم والعلماء، وجعلت البحث في علوم الدنيا وشهواتها نوعًا من الهرطقة والعَلمانية، فأُريد لهذا الصدام أنْ يُسقَط على الإسلام والثقافات الأخرى التي لا تحارب العلم، بل هي تقوم عليه، كما يقول التابعي الإمام أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري (٣٣ ـ ١١٠هـ): إنَّ هذا الدين علمٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم.[3] وبرواية أخرى قال: «إنَّ هذا العلم

---

(١) انظر: جورج خليل. الأقباط في مصر الحديثة. ـ الاجتهاد. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٢١.

(٢) انظر: أحمد محمد أحمد الطيِّب. التراث والتجديد: مناقشات وردود. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة لدار الكتب والوثائق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ١٤٤ ص.

(٣) انظر: رواه مسلم.

دينٌ فانظروا عمَّن تأخذونه، ذهب العلم، وبقي منه غبرات في أوعية سوء، ويجتنب الرواية عن الضعفاء والمخالفين من أهل البدع والأهواء». (١)

- وهنا يلتقي العلم بالدين، ولا يُؤخذ الدين إلا من أهل العلم به، والعلم بالدين يقتضي العلم بما يُعين على فهمه من علوم اللغة وعلوم الدنيا، فلا انفصام بين علوم الدين وعلوم الدنيا. وإنما يقتضي ذلك كلَّه زمانُ التخصُّص ـ كما مرَّ ذكره في ثنائية الكلِّي والجزئي ـ. فهما إذًا ثنائيتان تتكاملان ولا تتصادمان. فالعلم يتَّكئ على الدين، والدين يدعو للعلم ويؤيِّده ويوجِّهه إلى ما يعمر الكون. فلا الدين يُقصي العلم، ولا العلم ينفر من الدين.

- هذا في الأصل، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. (فاطر: ٢٨). ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. (الزمر: ٩). ومن غير الأصل أنْ يتصادم الاثنان، بل هو صدامٌ حادثٌ ومفتعلٌ من قِبل مَن لم يفهموا الدين على حقيقته، ولم يحدث ذلك في الدين الحقِّ.

---

(١) انظر: http://www.startimes.com/?t=30385087 وذكره الشيخ أبو هارون مختار الأخضر الطيباوي. (١٢/ ٧/ ١٤٣٥هـ ـ ١١/ ٥/ ٢٠١٤م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- يصدق هذا الاتِّهامُ غالبًا من أطرافٍ لا يقودهم بالضرورة الطعنُ في الدين والتديُّن، وقد لا ينتمون إلى الدين الذي تعلَّقوا به بما أنتج من علم ومعرفة، يصدق منهم على التديُّن والمتديِّنين والمحبِّين ـ كذلك ـ لذاك الحين المتعلِّقين به من غير المتديِّنين، فهؤلاء المتعلِّقون بالتراث هُم ـ في الغالب ـ الذين يُنعتون بهذه الصفات التي توحي بالتحجُّر والرجوع إلى الخلف أو الرجعية والماضوية، والعيش على هامش الحضارة الحديثة (الحداثة)، ولفظها والتنكُّر لها، بل ومحاربتها.
- كما يُنعتون عادةً بـ«اجترار» الماضي. وهذا تعبيرٌ ـ فيما يظهر ـ مُهين؛ إذ إنَّ الاجترار ليس من طبيعة ولد آدم ! وإنْ أُريدَ به المجاز، لكنه مجاز موحٍ بالمهانة التي لا تليق بابن آدم المكرَّم من خالقه ـ سبحانه وتعالى ـ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. (الإسراء: ٧٠).
- يقول عماد الدِّين خليل (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م): «إنَّ الإسلام بوسطيته العقدية وتركيبه المتوازن الذي يلمُّ ويناغم بين سائر الثنائيات التي مزَّقت الحياة البشرية، لهو الحل الوحيد لمستقبل الإنسان، إذا أريد لهذا المستقبل أنْ يتشكَّل بعيدًا عن الممرَّات الضيّقة، والطرق المسدودة للحضارة الغربية، وللمذاهب الوضعية المعاصرة على السواء».[1]

---

(١) عماد الدين خليل. نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله. ـ بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ص ١٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفَصْلُ الثَّالِثُ

ثُنَائِيَّاتٌ لا تَلْتَقِي

التمهيد

- وهناك ثنائيات تلتقي بطبعها؛ ليعمُرَ الكونُ بلقائها وتستقيمَ الحياة، وثنائيات أخرى أراد الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ لها ألا تلتقي كونيًّا، وهذه من الثنائيات الضدِّيَّة. فالثنائيات التي لا تلتقي كونيًّا، وإذا التقت فسد الكون وانتهى كاختلاط الليل بالنهار والتقاء الشمس بالقمر، وطلوع الشمس من المغرب، وهي كونيًّا تطلع من المشرق. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٦ ـ ٩). وكذلك الالتقاء الحسِّي بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، فهي من حيثُ الجهة لا تلتقي؛ ليبقى الشرق جهويًّا شرقًا والغرب غربًا والشمالُ شمالاً والجنوب جنوبًا.

- وكذلك ثنائية الحياة والموت، فلا الحيُّ ميِّتٌ ولا الميِّتُ حيٌّ حسًّا ولا يستويان، وإنْ قيل ذلك مجازًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وإنْ سعى أقوامٌ وقامت فلسفات تتهرَّب من الموت، وتتبنَّى فكرةَ التناسُخ وتحضيرَ الأرواح وأفكارًا أخرى، فما يجدي ذلك كلُّه عن سنن الله تعالى في كونه شيئًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ١٩ ـ ٢٣).

- وتقتضي سنَّة الله تعالى في الكون أنه لا بُدَّ من الحياة، كما لا بُدَّ من الموت، فلو لم يحيَ أحدٌ من البشر والحيوان والشجر كلِّها لخلت الأرض، ولم تتحقَّق عمارة الأرض والاستخلاف عليها. ولو لم يمُت أحدٌ من المخلوقات من البشر والحيوان والشجر لامتلأت الأرض بالخلق ولفسد الكونُ أيضًا. وهذا يشمل الحياة في اليابسة وفي الفضاء والأنهار والبحار والمحيطات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، وهكذا تقتضي إرادة المحيي والمميت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة: ١١٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس: ٥٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (غافر: ٦٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الدخان: ٨)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحديد: ٢).

- وقد جعل اللهُ الحياةَ للعمل. وكلٌّ يعمل على شاكلته، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له، ولا عملَ بعد الموت.

التضادُّ الإيجابي

- وليس بالضرورة أنْ يكون افتعال التضادِّ بين الثنائيات دائمًا سلبيًّا، بل قد يكون فيه من الإيجاب ما تستدعيه حضارة اليوم، على اعتبار أنَّ هناك تقابُلاً بين السلب والإيجاب، مثل الشعور واللاشعور. كما هناك تقابُلٌ بين المتضايفين،

مثل الأبوَّة والبنوَّة، وتقابُل الضدَّين، مثل السواد والعمى، وتقابُل العدم والملكة، مثل العمى والبصر.[1]

- وقد تعارف العالم في قوانين السير أنَّ الضوء الأحمر يعني دائمًا الوقوف، وأنَّ الضوء الأخضر يعني دائمًا السماح بالسير. وليس بين اللونين تضادٌّ. ومع هذا فقد اقتضى قانون السير أنْ يجعل بينهما اللون البرتقالي حتَّى يتيح مجالاً للذهن البشري ليتهيّأ للانتقال من الأخضر (الإيجابي) إلى الأحمر (السلبي) في هذا المقام فقط. وبهذا اعتُبرَ هذا اللون في المنطقة الوسطى بين طرفي الثنائية المتضادَّة، أو الجزء الأوسط بين حدَّيها، كما هي نظريَّة فيلسوف البنيوية وعالم الاجتماع الفرنسي كلود ليفي شتراوس (١٩٠٨ ـ ٢٠٠٩م) الذي يُعدُّ من ابرز من بحث في التنظيم الثنائي في المجتمعات.[2]

ثنائيات كونية: النور والظلام

- والنور والظلام بوصفهما ثنائية متضادَّة لا يجتمعان في أصلهما ولا يستويان، وإنْ تمكَّنت تقنيات الضوء الحديثة في اجتماعهما منفصلتين لا متَّصلتين، وبينهما حدٌّ أو فاصلٌ

---

(١) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

(٢) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسِّي. ومع هذا فلا غنى للمخلوقات عن أيٍّ منهما، يستوي في هذا الإنسان والحيوان والنبات. فلا غنىً عن النور بقدَر، ولا غنىً عن الظلمة بقدَر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧١ ـ ٧٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ (الرعد: ١٦) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ١٩ ـ ٢٣).

● وتقتضي إرادة الله تعالى أنْ يكون النور والضياء للحركة والطلب، وتكون الظلمة للسكون والراحة. والحركة والسكون ثنائية متضادَّة، إذ الساكن غير متحرِّك، والمتحرِّك

غير ساكن في الأحوال الطبيعية، وهذا هو الأصل. وإنْ وُجد خلاف ذلك فهو خلاف الأصل، وبما أنه موجود في أحوال، فهو خلاف الأصل. ومع هذا فقد يسكن المتحرِّك ويتحرَّك الساكن في أحوال غير طبيعية لا في الأصل. وتقتضي الحضارة الحديثة أنْ تكون هناك في حياة الناس خاصَّةً حركة وطلب في الظلمة، وأنْ يكون في المقابل سكونٌ وراحةٌ في النور. وهذه ـ في غالبها ـ من ضرائب الحضارة المادِّية اليوم وتعقيداتها، التي اقتضت أنْ تتحوَّل الظلمة إلى ضياء، والضياء إلى ظلمة. ولذا فإنَّ هذا الوضع غير الطبيعي مفقودٌ غالبًا في حياة الحيوان والنبات.

- ونعبِّر عن النور والضياء غالبًا بالنهار وفيه الحركة، كما نعبِّر عن الظلمة غالبًا بالليل وفيه السكون. فالنهار معاش، والليل سكنٌ ولباس. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: ٦١) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٤٧). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: ١٠ ـ ١١). ويرتبط الضياء بالشمس كما يرتبط النور بالقمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ولهذه الثنائيات معانٍ أخرى ليست هي الغالبة على إطلاقها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ (الفتح: ٢٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (الصف: ٨). فالإيمان له نور وانشراح في الصدر وطمأنينة في العيش، والكفر له ظلمةٌ في النفس وقساوةٌ في القلب ونكدٌ في العيش. وللنور والظلمة معانٍ أخرى. وفي القرآن الكريم سورة كاملة باسم سورة النور، فيها بسطٌ للنور بمعانيه المتعدِّدة، بما فيه مفهوم الضياء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥).
- وبين النهار والليل تداخُلٌ في بداية كلٍّ منهما حتى يطغى

أحدهما على الآخر، إذ يدخل آخر النهار بأوَّل الليل، ويدخل آخر الليل بأوَّل النهار. ولكلٍّ من هاتين الصورتين في التداخُل تعبير باللغة العربية بين الغسق والشفق. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٦١) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الحديد: ٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨).

● ولقيمة النور والظلمة في حياة الإنسان والحيوان والنبات جعل الإغريق لكلٍّ إلهًا. فللشمس إله وللقمر إله وللنجوم إله، وللخير إله وللشر إله... وهكذا إلى ما لا نهاية، فكثُرت الآلهة التي تفشل دائمًا.[1] وجعلوا لكلٍّ متناقضين

(١) انظر: إدوارد سعيد. الآلهة التي تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور. ـ بيروت: التكوين، ٢٠٠٣م. ـ ١٣٩ ص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الظاهر إلهًا. أحد هذين الإلهين إيجابيٌّ والآخر سلبيٌّ. ومع هذا فقد أعطوا لكلٍّ منهما قدرًا من القداسة. ومنبع هذه الثنائية النظرة الإنسانية التي جعلت الحياةَ متكافئةً تقريبًا. فهي حسنةٌ أو إيجابيَّةٌ، وهي ما يظهر عليها البُعد المضيء. وسيِّئةٌ أو سلبيَّةٌ، وهي ما يظهر عليها البُعد القاتم.

- وهذا من تقدير البشر الذين لم ينظروا إلى منافع هذه السنَّة الكونية، ولم تتبيَّن لهم العلَّة في وجود هذه الظاهرة لمصلحة الإنسان والحيوان والطبيعة، فكان مبعث هذه التأليهات البحثُ عن قدرة خارقة تصرِّف هذا الكون، فلم يهتدوا إليها في إلهٍ واحد هو خالقُ هذا الكون ومليكه فكأنَّهم استكثروا أنْ يصرِّف هذا الكون كلّه إله واحد قادر قاهر. ولو كان هناك إلهان أو أكثر لفشلت الآلهة وتنازعت فيما بينها ولفسد الكون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٣).

ثنائية البياض والسواد

- ومما يدخل في محيط النور والظلمة ثنائية البياض والسواد. وبغضِّ النظر عن البُعد العرقي الذي يفرِّق بين الأجناس من حيث ألوانُها، فهذه لها مجالها في الجانب العرقي في ثنائية الشرق والغرب والشمال والجنوب. أمَّا ثنائية البياض

والسواد في هذه الوقفة فتُعنى بالنظر إلى الحكم على الأشياء التي تمرُّ بالمرء. فمن الناس من ينظر إلى أيِّ حدث نظرةً حادَّة، إما يراه أبيضَ أو يراه أسودَ، وليس لديه أنصاف حلول، ولا اعتبارات للظروف المحيطة بالحدث فأثَّرت هذه النظرةُ الحادَّةُ على مسيره.

- ومن الناس من يجعل خانة تتَّسع أو تضيق بين الأبيض والأسود، أو البياض والسواد. وهي الخانة المسمَّاة الرمادية. وليس المقصود بهذه الخانة الغموض أو الإبهام في النظر إلى الحدث أو الضبابية حوله كما يُقال، بل المقصود أنَّ الشخصَ نفسَه ـ وفي الغالب كون هذا الشخص من أهل الحكمة ـ ينظر للحدث من أكثر من زاوية، فتزداد الخانة الرمادية الإيجابية في الحكم على الأشياء لديه. وقد ثبت أنَّ كثيرًا من علماء الشرع وعلماء التاريخ تتَّسع لديهم الخانات الرمادية الإيجابية، فتكون ردود فعلهم لأحداث عصيبة معاصرة أخفَّ بكثير من أولئك الذين ينظرون إليها بخانتي البياض والسواد.

- وهنا يمكن القول إنه في مواجهة أيِّ حدث كلَّما زادت الرقعة الرمادية الإيجابية زادت الحكمة عند من يواجهون الحدَث. ومن ثمَّ إذا اقتصر المرء على أنَّ كلَّ الأشياء لا تخرج عن كونها أبيضَ أو أسودَ فإنَّ في هذا دلالةً على ضيق أفق الشخص. إذ الحياة تميل إلى الخانة الرمادية أكثر من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كونها على قدر من الحدَّة بين البياض والسواد. ولذلك قالت العرب: ما لا يُدرك جُلُّه لا يُترك كلُّه. وربَّما قالت الأعاجم: ما لا يُدركُ جلُّه يُترك كلُّه: All or nothing. في تفسيرها لمواقف الحدَّة في النظر إلى الأمور المحيطة.

ثنائية الذكر والأنثى

- وقد اقتضت إرادة الله تعالى أنْ تقوم الدنيا ويعمر الكون على الثنائية في سيْرِ الوجود وبناء الحياة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ (هود: ٤٠). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ (النجم: ٤٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ (القيامة: ٣٦ ـ ٣٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ (الليل: ١ ـ ٣).

- وهكذا تكون حكمة الله تعالى في تدبير هذا الكون وعمارته والاستخلاف فيه؛ ليقوم على ثنائية الذكر والأنثى من

المخلوقات، فلو لم يكن زوجان من مخلوقات الله تعالى لما استقام الكون، ولو فُقدَ أحدهما على سبيل الفرض لتبعه الآخر، فلا بقاء بلا ذكور ولا بقاء بلا إناث. وقد وردت الآيات أعلاه التي تؤكِّد هذا المفهوم، منذ سفينة نوح ـ عليه السلام ـ إلى أنْ تقوم الساعة، بل يمتدُّ هذان العنصران من عناصر البقاء في الدار الآخرة، بصورة تختلف عمَّا كانت عليه في هذه الحياة الدنيا.

- وتبقى الوحدانية الخالصة ـ لا الثنائية ولا الثلاثية ولا أبعدَ منهما ـ لله تعالى لا شريك له، فهو ـ سبحانه ـ المنزَّه عن الثنائية والإشراك به غيرَه بأي صورةٍ من صور الإشراك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

- ولا اعتبار لمن يقول بخلاف ذلك، مما يخالف نواميس هذا الكون، فيشرك مع الله تعالى بشرًا أو غيرَ بشر مما خلقه الله، أو مما صنعه الإنسان الذي هو من خلْق الله تعالى، أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجعل هذا البشر بمنزلة تعلو على مقام الألوهية، كما تفعلُ بعض الطوائف الغالية مع بعض الأفراد الصالحين، فتؤلِّههم وترقى بهم إلى درجات تجعل الله تعالى في منزلة دون منزلتهم. وهذا من قمَّة الغلو.

ثنائياتٌ عاطفيةٌ: الفَرحُ والحُزنُ

- ولدينا من الثنائيات غير المتلاقية في الأصل والظاهر ثنائية الفرح والحزن، وثنائية الضحك والبكاء، وثنائية الرضا والغضب. فلا يحزن المرء ويفرح في آن واحد. ولا يضحك ويبكي في الآن نفسه. ولا يرضى ويغضب عن شيء محدَّد في الوقت نفسه، لكنه يفرح بعد الحُزن، وقد يحزن بعد الفرح، وقد يضحك بعد البكاء، وقد يبكي بعد الضحك، وقد يرضى بعد الغضب، وقد يغضب بعد الرضا، بعد أنْ تتبيَّن له حقيقة الموقف الذي من أجله جاشت عواطفه.

- والغضب سمةٌ مذمومة، وهي نقطة نقص في سلوكيَّات الإنسان وفي تركيبته النفسية، إلا أنْ تكون فيما يُغضب الله تعالى. ولذا نجد التوجيه الشرعي في التخلُّص من الغضب حالاً إذا ما اعترى الإنسان حالٌ من الغضب، فيجلس إنْ كان واقفًا، ويضطجع إنْ كان جالسًا ويتوضَّأ إذا سيطر عليه الغضب. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: «أوصني. قال: لا تغضب، فردَّد مرارًا قال: لا

تغضب».[1] وعن أبي ذرٍّ الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإنْ ذهب عنه الغضبُ وإلاَّ فليضطجع».[2]

- وهذا هو الأصل في هذه السمات النفسية العاطفية. وقد يتحوَّل الأمرُ إلى خلاف الأصل كأنْ يكون الحزن في الحال نفسها فرحًا ويكون الفرح حزنًا، ويكون البكاء ضحكًا ويكون الضحك بكاءً. ولهذا قد يبكي الفرِحُ من شدَّة الفرَح. وقد يضحك الحَزِينُ من شدَّة الحُزْن. ولذلك قالت العرب: شرُّ البليَّة ما يُضحك. وموضع البلية الحزنُ المفضي للبكاء، لا الفرح المفضي للضحك. ولذلك فهو في هذه الحال ضحكٌ دون فرح، أو في حال مناقضة بكاءٌ دون حُزن. أمَّا الفرح دون ضحك والحزن دون بكاء فهو الشائع بين الناس، وهو ما ينبغي أنْ تكون عليه الحال.

- ولا اعتبار هنا إلى حالاتٍ يتحوَّل فيها الفرح إلى حزن، ويتحوَّل الحزن إلى فرح، فتلك حالات لها مواقفها وظروفها الخارجة عن الإرادة. وهي تحصل أحيانًا في الحياة اليومية يكون الفرح فيها هو الدافع، ثم يحصل موقف مزعج فيتحوَّل الحال إلى حال مناقضة. والعكس صحيح.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر: مسند أحمد ٥/١٥٢ وصحيح الجامع رقم ٦٩٤ وفيض القدير، المناوي ٤٠٨ وأبو داود ٤٧٨٢ وصححه ابن حبان ٥٦٨٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثنائية الخير والشرّ

- ومثل هذا يُقال في ثنائية الخير والشرِّ، وإلى حدٍّ أقلَّ وضوحًا في ثنائية الحقِّ والباطل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج: ٦٢). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (لقمان: ٣٠). وعند جمهور علماء الإسلام أنَّ الحقَّ واحد والباطلَ متعدِّد. والخلاف في جانب الحق من حيث كونه واحدًا أو متعدِّدًا هو خلاف تنوُّع وتضادّ، مبني على الاختلاف في فهم النصوص، لا في الحقِّ ذاته.

- والخير في عيون الناس قد لا يكون خيرًا محضًا، وكذا الشرُّ قد لا يكون شرًّا محضًا. وعليه فإنه ليس هناك عند البشر خيرٌ محضٌ ولا شرٌّ محض وإنْ بدا لهم أنه كذلك. أي أنَّ الخير والشرَّ نسبيان، ولا بُدَّ من إدراك الحالين والتسليم بهما على حالهما. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً

وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥). فكلاهما فتنة يبتلي الله بأيٍّ منهما عباده. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾(المعارج: ١٩ ـ ٢١). مع وجود استثناءات لهذا الموقف الإنساني من الخير والشر تسوقها الآيات التالية لهاتين الآيتين.

- وفي اليوم الآخر يُستحضر عمل الخير كما يُستحضر عمل الشرِّ الذي عمله المرء في دنياه، ولو كان عملاً ضئيلاً فيُحاسب عليه الإنسان. إلاَّ أنَّ الله تعالى بفضله ومنِّه وكرمه يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات، وليس العكس، فلا تضاعف السيئات وتصادر الحسنات. قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة ٧ ـ ٨).

ثنائيات نسبية: الحُسن والسوء

- ومما له علاقة بهذه الثنائية الخير والشر من حيث نسبةُ النظرة إليها ثنائية الحُسن والسوء في كون الفعل أو القول حسنًا أو سيِّئًا في ذاته أو اعتباره من المُستهدف به، فالحُسن والسوء نسبيَّان في النظر إليهما من حيث الفاعل أو المتلقِّي. فقد يفعل المرء فعلاً يحسبه حسنًا وهو سيّئ، والعكس كذلك. ولا بُدَّ من مقياس دقيق للحُسْن والسوء، ليس من رؤية ذاتيَّة ولكن من رؤية قِيْمية تفرِّق بين الحسَن والسيِّئ في ضوء ما لهما من تأثير فيما يقعان عليه أو يقعان منه. قَالَ تَعَالَىٰ:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٢٩ ـ ٣٠) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النمل: ١٠ ـ ١١) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨).

- والفعل السيِّئ يُدفع بالفعل الحسن لتنقلب العواطف والأحوال وردود الأفعال من السوء إلى الحسْن، وتتحوَّل العداوة إلى ضدِّها ولا يكون للشيطان بين الفريقين سبيل. وليس كلُّ الناس يحسنون هذا الموقف، ولكنه من الحظوظ العظيمة التي يهبها الله تعالى للصابرين المتأنِّين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ﴾ (فُصِّلت: ٣٤ ـ ٣٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف: ١٦). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النمل: ١١). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢).

- وفي الحُسن جمالٌ وفي السوء قُبحٌ. والجمال والقُبحُ ثنائية نسبية كذلك، فهما مسألةٌ ذوقيَّةٌ بحتة. ولولا اختلاف الأذواق لبارت السلع. والسلع هنا لا تقتصر على أوَّل ما يتبادر له الذهن من المبيع والمشترى، بل تشمل أشياء حسيَّةً وأخرى معنويَّة. والآثار في ذكر الجمال والقُبح كثيرة. وللشعراء باعٌ طويلٌ في وصف الحُسْن والجمال، وباعٌ أقصر في وصف السوء والقُبح، يطول المقام لو استُحضرت بعض هذه النصوص الشعرية أو الأقوال المأثورة في هذه الثنائية الذوقية من جهة، والقِيْمية من جهات أخرى.

- ومن ثنائية الحسْن والسوء حُسن الخُلُق وسوء الخُلُق، وهي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثنائية متمثِّلة في حياة الإنسان اليومية في بيته وفي عمله وفي السوق وفي خطابه للآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣). وكلَّما كان المرء سمحًا كان حُسن الخلُق عنده عاليًا، والعكس صحيح. وأحسنُ الناس أخلاقًا رسولُ الله محمد بن عبدالله ﷺ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ولا أجد أجملَ تعبيراً من قول أمِّ المؤمنين عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما في وصفها لخُلُق المصطفى ﷺ لمَّا سُئلت عن خُلُقه: «كان خُلُقه القرآن». (١) وعن أنس قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا». الحديث. (٢) وعن صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما رأيت أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ». (٣)

- ويصف الإمام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) في **إحياء علوم الدين** من يتَّصف بحُسْن على أنه من يجمع علامات السماحة بالعبارة الآتية: «أنْ يكون كثيرَ الحياء قليلَ الأذى كثيرَ الصلاح، صدوقَ اللسان قليلَ الكلام

(١) رواه مسلم في صحيحه.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.
(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

كثيرَ العمل، قليلَ الزلل قليلَ الفضول، بَرًّا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا رضيًّا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعَّانًا ولا سبَّابًا ولا نمَّامًا ولا مُغتابًا، ولا عَجولاً ولا حَقودًا ولا بخيلاً ولا حسودًا، بشَّاشًا هشَّاشًا، يحبُّ في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حسنُ الخُلُق». (١)

- وقد ذكرت في مقامٍ سابقٍ أنه قلَّما تجتمع هذه العلاماتُ كلُّها في البشر إلا في صفوة الخلق. واجتمعت في رسول الله محمَّد بن عبدالله ﷺ، فقد كان على خُلُقٍ عظيم، وكان خلقه ﷺ القرآن الكريم. (٢) وسيأتي ذكر لهذا الحديث الشريف في ثنائية أخرى. وومن حُسن الخلُق التغافُل. ويُنقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافُل». فقد قيل له ـ رحمه الله ـ: «هل صحيح أنَّ التغافُل هو ثلث العقل؟ قال: بل تسعة أعشاره، تسعة أعشار حسن الخلق في التغافُل».

ثنائية السعادة والشقاء

- أما الحديث عن السعادة والشقاء بوصفهما ثنائية غير متلازمة

---

(١) انظر: أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين. ـ ٣ مج. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ـ ٣: ٧٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الظاهر فإنه يطول دون الخروج بالضرورة إلى نتيجة مشتركة، إذ إنَّ المرء قد يكون سعيدًا من وجه شقيًّا من وجه آخر، وربَّما في الوقت نفسه يكون سعيدًا وشقيًّا. وقد يرى آخرُ في نفسه أنه في شقاء بينما هو في سعادة. ويرى آخرون في غيرهم أنهم في سعادة وهم في شقاء. فكلٌّ يرى السعادة والشقاء من منظار ثقافي أو من حكم ظاهري، فهل السعادة في طاعة الله؟ وفي طاعة الله سعادة، أم في الثروة والمال أم في راحة البال أم في الحبِّ أم في الزوج الصالح من الجنسين أم في السكن الفسيح النظيف أم في المركب المريح... إلخ؟!

- ومفهوم السعادة والشقاء في الآخرة واضح، وهو آتٍ جزاء عمل الإنسان في دنياه، فيكون الناس في تلك الحياة الآخرة بين سعيد وشقي. ومن عدل الله تعالى ألاَّ يشقى من عمل من أجل أنْ يسعد ووفَّقه الله تعالى إلى الإخلاص والصواب. ومن رحمة الله وفضله أنه قد يسعد من لم يوفَّق إلى تلمُّس أسباب السعادة في دنياه، فكان في ظاهر أعماله إلى الشقاء أقرب. وفضل الله عظيم. والحكم في هذا لله تعالى لا يشاركه فيه أحدٌ من خلقه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٥ ـ ١٠٨).

- وتكاد لفظة السعادة تطغى على معظم الفلسفات السابقة واللاحقة، ولها من التعريفات والضوابط ما لا يقبل الحصر، وفيها من الأقوال ما يملأ المجلَّدات. بل إنها أضحت مجالاً واسعًا للاجتهاد على مستويات متفاوتة ثقافيًّا، وكلٌّ يرغب بها، وليس كلٌّ يأخذ بأسبابها بالضرورة.

- وتطالعنا وسائل التواصُل الاجتماعي الحديثة بأعداد هائلة من المنظِّرين الذين استهوتهم ـ ربَّما ـ الرغبة في التميُّز بالحكمة، فيلتقطون أقوالاً من هنا وهناك حول السعادة فيُعجبون بها صياغةً، ويقدِّمونها للمتواصلين معهم على أنها في هذه الصياغة الجميلة ذات الوقع الفلسفي هي ذلك الكنز المفقود في مفهوم السعادة.

- ويأتي مفهوم الشقاء في درجةٍ أقلَّ، على اعتبار أنه من المُتجاهَلات في فلسفة الحياة، رغم أنه حاضر بين الناس وبقوَّة مع الزمن ومع اختلاط المقاييس وطغيان النظرة إلى المادَّة ورسملة المجتمعات. ومن الممكن أنْ تكون السعادة حاضرةً مع قوَّة الإيمان، ومن ثمَّ فإنَّ الشقاء يكون حاضرًا مع ضعف الإيمان والتعلُّق بالدنيا على حساب الآخرة. وهنا يقف الحديث عن هذه الثنائية عند هذا الحدِّ. وفي السعادة يقول الحطيئة (توفِّي سنة ٤٥هـ):

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هوَ السعيدُ

ثنائيات الجنَّة والنار

- ومن منطلق ثنائية السعادة والشقاء في الآخرة أنْ جعل الله تعالى مصير الإنسان بين ثنائية الجنَّة أو النار ولا ثالثَ لهما، فليس بين الجنَّة والنار منزلة أخرى بين المنزلتين، ولا تلتقي الجنَّةُ والنارُ في ذاتهما، فلو طغت الجنَّة على النار لأخمدتها، ولو طغت النارُ على الجنَّة لأحرقتها. وكلٌّ ذلك بأمر الله تعالى. ومن دخل الجنة فقد فاز والخاسر مَن مصيره إلى النار، ولا يظلمُ ربُّك أحدًا. كما في الآية الكريمة ٤٩ من سورة الكهف الآتي ذكرها لاحقًا.
- كما في الآخرة ثنائية الثوابُ والعقاب قبل الدخول إلى الجنَّة أو النار، وهو الحساب، وذلك قبل أنْ تطوى الصحف وتجفَّ الأقلام ويتوجَّه أهل الجنَّة إلى الجنة من خلال أبوابها الثمانية. ويُدفع أهل النار إلى النار من خلال أبوابها السبعة. وفي الدنيا ثوابٌ وعقابٌ، إلا أنَّ التركيز في هذه الثنائية على ثواب الآخرة وعقابها.
- وقد يلتقي الثواب والعقاب في الشخص الواحد، فيُثاب المرء وقد يُعاقب، وقد يُثاب ولا يُعاقب، وقد يُعاقب ولا يُثاب نظريًّا، وهذا الأخير في النادر إلا أنْ تشمله رحمة الله تعالى، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن

حقَّق التوحيد دخل الجنَّة بغير حساب ولا عذاب.[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة ١٢٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (هود: ١١٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).

---

(١) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ قال: ﴿عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبيَّ ومعه الرهط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحد، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلَّهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكَّلون. فقام عكّاشة بن مُحصن فقال: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فقال: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادعُ الله أنْ يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة﴾. رواه البخاري ومسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ومفهوم الثواب والعقاب ينحدر من الديانات التوحيدية القائمة على الوحي الإلهي، ولذلك فهي تعترف بالمسؤولية الإنسانية.[1] وتظلُّ مغفرة الله تعالى ورحمته وفضله تحكم هذه الثنائية فيمن يُثاب ومن يُعاقب، فيما عدا الإشراك بالله تعالى، فإنَّ الله تعالى لا يغفر أنْ يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾. (النساء: ٤٨).

- ولا يُوجد في هذه الحال من لا يُثاب أو لا يُعاقب، فذاك اليوم هو يوم الحساب. وربَّما يجرؤ المرء فيقول إنَّ مجرَّد عدم التعرُّض لأهوال ذلك الموقف هو نوع من الثواب. ولذلك فاحتمال التلاقي بين الحالين في الآخرة وارد. والتقاؤهما في حال الأشخاص، لا في ذاتهما وارد، فلا الثوابُ في الآخرة عقابٌ ولا العقابُ ثوابٌ. وتُترك التفصيلاتُ في حال اليوم الآخر وأهواله لأهل العلم والاختصاص من علماء الشريعة المعتبرين.[2]

---

(١) انظر: محمد خليفة حسن. تاريخ الأديان: دراسة وصفية مقارنة. ـ القاهرة: دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م. ـ ٣٤٢ ص. ـ (الباب الثالث: مجموعة الديانات التوحيدية).

(٢) انظر: فرج الله عبدالباري، أبو عطاالله. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام. ـ ط ٢. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٢٢٦ ـ ٢٨٧.

● وكل ذلك بالعدل والقسط، ولا ظلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (غافر: ١٧). وقد حرَّم الله تعالى الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّمًا ـ كما في الحديث القدسي- فعن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنه قال: يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرَّما فلا تظالموا. . .».[1]

ثنائية اليمين والشمال

● ومن الثنائيات التي تعود إلى الأحكام الإسلامية في باب الآداب التفريق بين اليمين والشمال في الدنيا والآخرة. ففي الآخرة هناك قومٌ يأخذون كتبهم بأيمانهم، وهؤلاء في النعيم ويفرحون ويتباهون. وآخرون يأخذون كتبهم بشمائلهم وهؤلاء في الجحيم ويندمون. وكلا الحالين نتيجة ما قام به هؤلاء وهؤلاء في حياتهم الدنيا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١). وقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) رواه مسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ* إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ* فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ* يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ* مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ* هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩ ـ ٢٩). وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا* وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ* فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا* وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧ ـ ١٢). وقال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ* فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ* وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ* وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ* وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ* وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ* إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً* فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا* عُرُبًا أَتْرَابًا* لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ* وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ* فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ* لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ (الواقعة: ٢٧ ـ ٤٤). وقال تعالىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ (الواقعة: ٨ ـ ٩)، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ* أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ* وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ* عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ (البلد: ١٧ ـ ٢٠). والمشأمة جهة الشمال، وأصحاب المشأمة هم الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم.

- أمَّا في هذه الدنيا فهناك آدابٌ لها علاقة باستخدام اليمين

والشمال. ففي الدخول للمساجد تقدَّم الرجل اليمنى، وفي الخروج منها تقدَّم الرجل الشمال. وفي الدخول للخلاء العكس. والمصافحة تكون دائمًا باليد اليمنى إلا لعذر.[1] وفي الأكل والشرب والمناولة والأخذ تكون باليد اليمنى.

- عنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ غُلامًا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ».[2] وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ يُعجبه التيمن في تنعُّله، وترجّله، وطُهوره، وفي شأنه كلِّه». وهو لفظ البخاري. ولفظ مسلم: إنْ كان رسول الله ﷺ ليحبُّ التيمُّن في طُهوره إذا تطهَّر، وفي ترجُّله إذا ترجّل، وفي انتعاله إذا انتعل. وفي لفظ آخر لمسلم: كان رسول الله ﷺ يحبُّ التيمُّن في شأنه كله: في نعليه، وترجُّله، وطُهوره».[3] وعَنْ إِيَاسِ بْنِ

---

(١) انظر: طارق راشد. إلى متى ستعيش؟: قوَّة مصافحتك تنبئ بطول عمرك. ـ المجلَّة العربية. ـ ع ٤٦٥ (شوَّال ١٤٣٦هـ/ أغسطس ٢٠١٥م). ـ ص ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) قال في الموقع: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ عَالٍ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الأَطْعِمَةِ، وَأَوْرَدَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِهِ.

(٣) حديث مرفوع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ يَأْكُلُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ». قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ». قَالَ: فَمَا وَصَلَتْ يَمِينُهُ إِلَى فِيهِ بَعْدُ». (١)

- وهذه الآداب لها شأنٌ في الإسلام، ومن ورائها حِكَمٌ وعللٌ قد لا تظهر لبعض الناس، ويُربَّى عليها الأولاد من الصغر، وإنْ سعى بعض المتذمِّرين من العقلانيين وغير المتديِّنين إلى التقليل من شأنها، على اعتبار أنها من السنن التي يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها، ولا فرق بين تقديم عضو على آخر في أيِّ حال، بل ربَّما سخر بعض المتذمِّرين من أولئك الذين يركِّزون عليها، في ضوء الطوامِّ الكبرى التي تمرُّ بها الأمَّة. وربَّما ينطبق على هذه الفئة المقلِّلة من هذا الشأن القول بأنَّ من جهل شيئًا عاداه.
- وقد لا تظهر لبعض الناس الحكمة أو العلَّة من وراء هذه الآداب، وأنها مجرَّد أحكام لا ينبغي جعلها موضوعات الساعة. وليس بالضرورة أنْ تظهر الحكمة لكلِّ الناس، بل يدركها الراسخون في العلم ممَّن يؤتون الحكمة. ولا بُدَّ أنَّ وراءها عللاً من منطلق أنّ هذه السلوكيات ليست مجرَّد أوامر لتحقيق العبودية لله تعالى، مع أنها كذلك من حيث

(١) حديث مرفوع صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

الإيمان المطلق بها، ثمَّ بعد ذلك يأتي البحث في العلل الجسمانية الفيزيائية «فيزياء العبادات» وراء التقديم والتأخير دون تمحُّلٍ أو تكلُّف أو لَيٍّ للنصوص أو تصيِّد عاجل للحكمة أو العلَّة وراء أيِّ سلوك شرعي على ما يفعله بعض المنبهرين في البحث عن العلَّة لكلِّ سلوك باسم الإعجاز العلمي أو أيِّ اسم آخر. ويكفي العلمُ واليقين بأنَّ الأحكام الشرعية عمومًا لا تأتي اعتباطًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفَصْلُ الرَّابِعُ

جَدَلِيَّةُ التَّمَاضِيْ وَالتَّحْيِيْنْ

ثنائية الماضي والحاضر

- ومن الثنائيات التي ينبغي التوسُّع في طرحها؛ لأنها أساءت إلى ماضي الأمَّة وحاضرها وربَّما مستقبلها، تلك الثنائية التي صُنع لها وهمُ الاختلاف وافتُعل لها عدم الالتقاء أو استحالة الالتقاء بل والتضادُّ، ومن ثمَّ فُرِضَ خيارُ الأخذ بأحدهما دون الآخر؛ لأنهما في الزعم لا يلتقيان، تلك ثنائية التحيين والتماضي، فلا الماضي (ذاك الحين) يلتقي بالحاضر (هذا الحين)،[1] ولا هذا الحين يلتقي بذاك الحين. وجاءت الجدليَّة أنه إذا أرادت الأمَّة ـ دون تحديد هُويَّة الأمَّة ـ أنْ

(١) يُعبِّر هذا البحث بذاك الحين عن الماضي والتراث، وبهذا الحين عن الحاضر والمعاصرة؛ قصدًا إلى التماشي مع عنوان هذه الندوة (تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان)، وإنْ دعا القصدُ إلى نحت بعض المصطلحات المتوافقة مع مفردة «التحيين».

ترتقي فعليها بنبذ ذاك الحين بماضويته ورجعيته وظُلاميته وتخلُّفه، وكلُّ تلك المصطلحات السلبية التي توحي بالتنكُّر لذاك الحين، وكأنَّ ذاك الحين كان على البشريَّة شرًّا كلَّه، من منطلق حداثوي غير مؤصَّل ـ على رأي سمر الديوب ـ حيث تقرِّر الباحثةُ أنَّ كثيرًا من الحداثيين العرب قد حاولوا تطبيق المناهج الحداثية التي خدمت بيئةً خارجيَّةً على الأدب العربي، دون أنْ يستندوا إلى فلسفة أدبية عن الذات والكون والمعرفة خاصَّةٍ بهم، وإنَّما يستعيرون مفهوماتٍ نهائيةً لدى الآخرين، وينقلون عنهم نقلاً أو يلفِّقون تلفيقًا.[1]

- وذلك كلُّه في جدليَّة قد تصدق على ثقافة دون أخرى، فاستُوردت للثقافة التي لا تنطبق عليها بالضرورة تلك الجدليَّة المُقصية للماضي، بل ربَّما أُوحيَ أنَّ التعلُّق بذاك الحين هو سببُ ما وصلت إليه الأمَّة من ضعف وهوان وضياع ـ كما مرَّت الإشارة إليه ـ لا سيَّما عندما اقترن التمسُّك بذاك الحين أيضًا وفي الآونة الأخيرة بالاتِّهام بالإرهاب والترويع باسم الدين ـ مع بالغ الأسف ـ وما هذا من الدين الحقِّ.
- بينما يُقرِّر الباحث المبروك الشيباني المنصوري وغيره ممَّن يمكن أنْ يوصفوا بالمعتدلين أنَّ «أوَّل مقوِّمات التحيين يجب

---

(١) انظر: سمر الديوب. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنْ تستند إلى وعي دقيق ومعمَّق بمكانة الثقافة العربية الإسلامية في عالم اليوم؛ لأننا لا يمكن أنْ نحيِّن كيانًا هُلاميًّا مجهولاً غير مضبوط الصفات والمعالم، وليست لنا به معرفة كاملة ودقيقة». (١)

- ولعلَّ هذا سببٌ من أسباب أفول المنهج الحداثي، المتنكِّر للماضي تصريحًا أو تلميحًا أو تأويلاً، بتفريعاته في الحراك الفكري العربي، وتراجُع بعض رموزه اقتناعًا بعد أنْ تبيَّن لهم ما في التراث من خير، وما في الحداثة البحتة ما هو خلاف ذلك، في الوقت الذي سعى فيه جمعٌ من الحداثيين فكرًا ومنهجًا إلى النهوض بالأمَّة من كبوتها، من خلال إلغاء النظرة التراثية التقليدية القائمة على تقديس كل ما هو قديم، واستجلاب نظرة محدَثة مختلفة تتعاطى مع التراث وتقرأه برؤية معاصرة. (٢)

- وحيث كثُر الجدل في هذه الثنائية كان من المنتظر أنْ تأخذَ أسماءً متعدِّدة، كلُّها تصبُّ في مسمّىً واحد، فتعدَّدت الإطلاقات والمسمَّى واحد، من مثل التعبيرات الآتية حسب الترتيب الهجائي، لا حسب التعبير الموحي:

---

(١) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. تحيين المعرفة وسدِّ الفجوات الثقافية. ـ ص ٨٧ ـ ١٣٥. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ مرجع سابق. ـ ٢٩٦ ص.

(٢) انظر: محمد عابد الجابري. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. ـ ط ٤. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م. ـ ٣٧٦ ص.

- الأصالة والتحيين،
- الأصالة والمعاصرة،
- التراث والتجديد،
- التراث والحداثة،
- التراثية والحداثوية،
- التخلُّف والتقدُّم،
- التماضي والتحيين،
- الظلامية والعصرانية،
- القديم والحديث،
- الماضوية والحداثوية،
- الماضي والحاضر،

- ثم ينبثق عن هذا ما يمكن أنْ يُطلق عليه الحداثة الثانية، أو ما بعد الحداثة Post-Modernity.[1] وفي هذا أقوال لمفكِّرين تنتقد مثل هذا التوجُّه ليس هذا مجال البحث فيها؛ لأنَّ هذه الوقفة ليست لنقد الحداثة بوصفهًا منهجًا فكريًّا أو ما بعد الحداثة أو الحداثة الثانية أو الحداثة الجديدة أو الحداثة المتجدِّدة Neu-Modernity وليس New-Modernity.

(١) انظر: رسول محمد رسول. الغرب والإسلام: قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م. ـ ص ٢٣ ـ ٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- هذا عدا عن تلك الأوصاف التي تنبئ عن قلق من الماضي أو التراث، وانسلاخ مقصود فيه إساءة بالغة للتراث الإنساني عمومًا والإسلامي خصوصًا، أملته ربَّما ردود أفعال لممارسات خاطئة كذلك تجاه ما هو حديث أو جديد، وعمدت إلى استبعاده ومصادرته بهاجس من الخوف على الماضي أو الخوف من الإسلام تحديدًا. فلا هؤلاء محقِّون ولا أولئك محقُّون. ولا يحسن هنا ذكر هذا النوع من الإطلاقات الحادَّة من الطرفين المتطرِّفين.
- وربَّما يدخل في هذه الجناية، لا على التراث، بل على المتمسِّكين به أنْ يوصموا بالغربة عن الحاضر، من مثل اتِّهام المفكِّر العربي حسن حنفي أهلَ الحجاز (المملكة العربية السعودية) ودويلات الخليج العربية ـ على حدِّ تعبيره ـ التي تمثِّل عنده المجتمعات التقليدية، وهذا رأيه. كما يوصم آخرون بالغربة عن الماضي مثل تركيا وألمانيا والجمهوريات السوفييتية الآسيوية، وتوصم فئةٌ ثالثة بكونها تمثِّل طبقتين متجاورتين من مثل مصر والعراق وسوريا والجزائر.(١)
- وفي هذا أثرٌ واضحٌ على الهُوية الثقافية، بحيث يمكن القول إنَّ الحداثة ـ بمفهومها الفكري ـ تجني على الهُوية، بينما

---

(١) انظر: حسن حنفي. التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٠. ـ (هامش ٤).

الهُويَّة لا تجني على الحداثة. وفي هذا انبعاثٌ لثنائية أخرى أحد طرفيها له إشكال مع الأصالة والتراث. والطرف الآخر متصالحٌ مع الأصالة والتراث.[1] وهنا يمكن القول إنَّ الحداثة ينظر لها أنها معاديةٌ للدين، على اعتبار أنه موروث قديم لا يتوافق مع معطيات العصر التقانية، كما يمكن القول ـ في المقابل ـ إنَّ الدين يلزم أنْ يُنظر إليه هلى أنه لا يعادي الحداثة بمفهومها التقاني الذي يدعو له الدين ولا يحاربه أو يُخاصمه.

- وهكذا ينبغي أنْ يكون أمر الدين الحقِّ عليه. وفي الدعوة إلى خلاف ذلك جناية على الدين. بل إنه في هذا المقام لا ينبغي أنْ يُنظر للدين على أنه مكبِّلٌ للحداثة، ولا يُنظر للحداثة على أنها مكبِّلةٌ للدين، بل بينهما تمازُج وتناغُم، متى ما نُظر للحداثة على أنها قابلةٌ للتمازُج والتناغُم.[2]

المواقف من هذه الثنائية

- وَقَفَ بعضُ المفكِّرين المعنيُّين من ذاك الحين (التراث أو الأصالة) وهذا الحين (المعاصرة أو الحداثة) ـ منذ أكثرَ من

---

(١) انظر: عبدالله حمودي. الحداثةُ والهُويَّة: سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥م.

(٢) انظر: عبدالمؤمن محّو. الحداثة والهُوية: خارج الثنائية المكبِّلة. ـ العربي الجديد. ـ (٢٩/ ٩/ ٢٠١٥م). www.alaraby.co.uk (٣٠/ ٩/ ٢٠١٥م). ـ (عرض كتاب الحداثة والهُويَّة لعبدالله حمودي).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قرن من الزمان وخلال عدد كثير من الندوات واللقاءات والنقاشات، بل والحِجاج والجدال والخلاف والاختلاف، وأُلِّفت الكتب والدراسات والمقالات - وقفوا وقفاتٍ رئيسيةً ثلاثًا كحال كثير من المواقف من بعض الرؤى المتباينة والنازعة إلى تعميق فكرة الثنائية تجاه أيِّ تغيير أو رغبة في التغيير، حيث يكون هناك قدرٌ من الغلو «التطرُّف» إلى اليمين أو إلى اليسار، بما في ذلك محاولة التنصُّل من حضور الدين في مساعي التغيير، دون التصريح الصريح بالاستبعاد، لكن بالتغيير.(١)

- وتبقى فئة من الداخلين في هذا الجدال والحِجاج هي أقربُ إلى الاعتدال والمنهج الوسط في الحكم على ذاك الحين وهذا الحين، وعلى التطوُّرات التي تترى على تفهُّم هذه الثنائية، بما يفضي إلى التقليص من احتدامها، والتقليل من تباعُدها والالتفات إلى الأوليَّات والكلِّيات:

١ - **الموقف الأوَّل** هو المتشبِّث بالحاضر (هذا الحين)، الراغب في الاقتصار عليه علمًا وفكرًا وثقافةً، ومن ثمَّ الاتِّكاء على عباقرة العصر من الفلاسفة المشهورين وغير المشهورين، الذين استقوا عبقرياتهم من ماضيهم

(١) انظر: حسن حنفي. التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم. ـ المرجع السابق. ـ ١٩٤ ص.

وماضي غيرهم (ذاك الحين) من أهل الحكمة، بما فيهم عباقرة المسلمين والحكماء من المسلمين وغير المسلمين الذين عاشوا تحت مظلَّة الإسلام ونهلوا من سماحته، بل ونعموا بما لقوه من تقديمٍ وتهيئةٍ لمزيدٍ من الحكمة.[1]

- لكنَّ المتشبِّثين بهذا الحين (المعاصَرة) تجاهلوا ـ وربَّما غفلوا عن ـ أنَّ عباقرة اليوم في كلِّ مجتمعٍ وبيئة قد استقوا عبقريَّتهم من السابقين لهم، وأنَّ الأفكار قابلةٌ للتناقُل مع تطويعها للزمان والثقافات، وأنَّ أفكار اليوم وعلومه إنما هي نتاج أفكار الأمس وعلومه، من دون الوقوف بالضرورة عند أفكار الأمس وعلومه فقط. وهذه سنَّة الله تعالى في الحياة؛ يتَّكئ اللاحق على السابق.

- فانبهر هؤلاء المتشبِّثون بهذا الحين بأولئك العباقرة المعاصرين وبحاضرهم الذي كانوا عليه. وطفقوا يقتبسون من هؤلاء العباقرة الذين احتضنهم الغرب الأوسط والغرب الأقصى، بل ويتباهون بأنْ يردِّدوا أسماءَ لامعةً في عالم العبقرية والفلسفة والأدب والفكر المعاصرَين، بغضِّ النظر عن توافُق هذه الرؤى مع الثوابت التي قامت عليها الأمَّة، بل

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التواصُل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٢٨ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ربَّما اتَّضح تناقُضُها مع الثوابت، كمذهب الوجودية ووحدة الوجود[1] واللامعقول والعبثية والماركسية (الاشتراكية) المتعسِّفة التي جاءت بدعوى التجديد على حساب التراث،[2] والشيوعية في الدين والمجتمع والإلحاد في الدين، تلك الرؤى المفروضة بالقسر وقوَّة السلطان،[3] والرأسمالية في الاقتصاد، والتغريب والحداثة في الفكر والسلوك - بالمفهوم الفكري الغربي، لا بالمفهوم الأدبي والذوقي - أو الحداثوية التي تريد أنْ يحلَّ الجديد محلَّ القديم والمتغيِّر محلَّ الثابت على أيِّ حال؛ لأنَّ الجديد بكلِّ ما فيه عند هذه الفئة أفضلُ من القديم بكلِّ ما فيه، هكذا على الإطلاق.[4]

---

(١) انظر: هيفاء بنت ناصر الرشيد. وحدة الوجود. - ص ١٩٣ - ٢١٩. - في: حركة العصر الجديد: مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها. - جدَّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م. - ٦٧٢ ص.

(٢) انظر: أحمد محمد أحمد الطيِّب. التراث والتجديد: مناقشات وردود. - مرجع سابق. - ١٤٤ ص.

(٣) انظر: سعود بن سعد بن نمر العتيبي. الإلحاد في مصطلحات الكتاب والسنَّة. - ص ٢٥٢ - ٣٠٩. - في: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنَّة والجماعة. - جدَّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. - ٧٢٨ ص.

(٤) انظر: مسفر بن علي القحطاني. صدام القيَم: قراءةُ ما بعد التحوُّلات الحضارية. - بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥م. - ص ١١٦ - ١٢١.

● وهذا على اعتبار أنَّ هناك فَرْقًا بين الحداثة والحداثوية،[1] والمذاهب الأخرى التي صنعها البشر من ذوي الثقافات الأخرى في بحثهم عن الحكمة والتغيير، حينما لم يعثروا عليها في كتبهم المقدَّسة التي قامت أصلاً على الوحي، مع أنَّ الحكمة موجودة في أصلها بين الناس، فمنهم من يوهبَها، ومنهم من لا يرقى إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)، ثم اعترى تلك الكتب السماوية ما اعتراها من تدخُّل البشر في نصوصها الأصلية. وبعض هذه المذاهب إنَّما قامت لتحلَّ محلَّ النظرة التي جاءت بها تلك الثقافات السابقة في نظرتها للحياة والكون والأشياء.

٢ ـ **الموقف الثاني** هو المتشبِّث بذاك الحين في انتصار عاطفي، وربَّما بتوجُّس غير مسوَّغ وخوف من تجاهُله والإلقاء به في «زبالة التاريخ»! على ما في ذاك الحين من هنات ونواقصَ وتقصيراتٍ. وعدَّت هذه الفئةُ نقدَ الماضي تطاولاً عليه، على أنه من المقدَّس الذي لا يرقى إليه النقد. ولا مقدَّس عندنا إلا كتاب الله تعالى وسنَّة نبيِّه محمد بن عبدالله ﷺ.

---

(١) انظر: عبدالكريم سروش. التراث والعلمانية: البنى والمرتكزات ـ الخلفيات والمعطيات/ ترجمة أحمد القبانجي. ـ بيروت: دار الانتشار العربي، ٢٠٠٩م. ـ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢. ـ (الفرق بين الحداثة والحداثوية).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعض من هذه الفئة لا كلّها، هي التي حاربت التحيين، وقلَّلت من شأنه وشأن قياداته العلمية والفكرية والثقافية وتجاهلت ما قد يكون عليه التغييرمن خير، ما دام جاء صادرًا عن دعاة التحيين! واستخدمت وسائط هذا الحين في محاربة التحيين من حيث المضمون لا من حيث الوسائط.[1] وعادت إلى علماء السلف المعتبرين تنهل منهم كلَّ ما تريد الاستدلال به وعليه. وحقَّ لهم ذلك، فأولئك السلف الصالح هم الذين أعانوا على حفظ الدين والعلم، وهم الذين كانوا سبَّاقين إلى تدوينه ونقله إلى أنْ وصل إلينا في هذا الحين.[2] إلاَّ أنَّ إسهامات السلف المذكورة المشهورة لا ترقى إلى منزلة المقدَّس.

لكنَّ بعضهم عاد إلى ذلك مع تجاهُل الحاضر، وأنه لم يُنتج - ولن يُنتج - أمثال أولئك العظماء الموسوعيين الذين خلَّدتهم أعمالهم العلميَّة المؤثِّرة، من منطلق القول المشهور: لم يترك السابق للاَّحق شيئًا، أو «ما ترك الأوَّل للتالي شيئًا»، خلافًا لقول الشاعر الطموح أبي العلاء المعرِّي (٣٦٣ - ٤٤٩هـ / ٩٧٣ - ١٠٥٨م):

---

(١) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. تحيين المعرفة وسدِّ الفجوات الثقافية. - ص ٨٧ - ١٣٥. - في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ - ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ - ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. - مرجع سابق. - ٢٩٦ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية. - ٤ مج. - الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

وإنِّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائِلُ

وتجاهلَ بعضٌ منهم أنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها،[1] وأنَّ الآثار تدعو إلى تلقِّي العلم ولو في الصين. والصين ـ هنا ـ قد لا تعني الجهويَّة، بقدر ما تعني قدرًا من التعارُف والتعاوُن والتحالُف بين الشعوب والأمم وتبادُل المعارف والحِكَم أيًّا كان مكانُها أو مصدرها شرقًا أم غربًا.

- ولم يستوعب بعضٌ منهم في تاريخ الحضارات أنَّ الحضارة الإسلاميَّة قد استمدَّت بعض مقوِّماتها المادِّية ـ لا الشرعيَّة - خلال النقل والترجمة، أو التعريب، من الثقافات المعاصرة لها والسابقة عليها، من الصين وبيزنطة ومصر الفرعونية والهند وفارس وغيرها،[2] واستوعبت خلفيَّاتها الدينية

---

(١) قال أبو عمر الهلالي: (إني لم أعثر على إسناد نظيف أو متماسك نستطيع من خلاله أن ننسب هذا القول لأحد، سواء كان من الصحابة أو التابعين أو حتى من غيرهم. والغريب حقا أنَّ كثيرًا من الوعَّاظ والدعاة، بل وبعض العلماء يردِّدون هذا الحديث ويرفعونه إلى النبي ﷺ مع علم بعضهم بضعفه؛ متعلِّلين بقول من يرخِّص في ذكر الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال. مع أنَّ الذين يقولون بذلك يشترطون ألا يكون الحديث شديدَ الضعف. ولعَلِّي بيَّنت وَهاءَ [= ضَعفَ أو هشاشَة] الأسانيد فيما وقفتُ عليه. والله أعلى وأعلم).

انظر: http://www.ah;a;hdeeth.com/vb/showthread.php?t=144009

في ١٢/ ٧/ ١٤٣٥هـ ـ ١١/ ٥/ ٢٠١٤م.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعقدية، دون أنْ تقرَّ بها على أنها الدينُ الكامل، لتعارُض هذا الإقرار مع التنزيل الحكيم.(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة ٣).

- وقد يكون دافعُ هذه الفئة من المتنكِّرين لهذا الحين الغيرةَ على الدين، وحفظَه مما قد يعلق به من اجتهادات البشر غير الصائبة، كما حصل إبَّان الخلافة العبَّاسية (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ)، حينما تطاولت حكمةُ البشر ـ إخلاصًا منها لا صوابًا ـ على الفهم الصحيح للتنزيل وللذات الإلهية ولطبيعة القرآن الكريم، من حيث كونُه منزَّلاً أو مخلوقًا. والإخلاص وحده لا يكفي في أيِّ جهد إنْ لم يصحبه الصواب، والصواب ـ عند المسلمين ـ هو الاتِّباع، على ما مرَّ ذكره في نقاش الثنائيات المتلازمة.

٣ ـ **الموقف الثالث** هو الموقف الوسط المعتدل الانتقائي التوفيقي ـ كما يبدو منه ـ الذي أعطى كلَّ شيء اعتبارَه، فلم يتنكَّر لذاك الحين، ولم يقبلْه على علاَّته، وتنبَّه إلى ما فيه من نواقصَ وتقصير، ووقف منه ـ فيما عدا

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. ـ ٨٧ ص.

الكتاب والسنَّة ـ موقف الناقد المنتقي. ولم يتخلَّ ـ في الوقت نفسه ـ عن هذا الحين، وما فيه من حراك علمي وفكري محلِّيٍّ أو قادم من الشرق والغرب، وأدرك ما فيه من فوائد، وما هو عليه من تطوُّر وتطوير. ووقف منه ـ كذلك ـ موقف الناقد الفاحص، فأخذ منه ما يُناسب، وترك منه ما لا فائدة منه.

- وتبقى إشارة سريعة إلى النظرة إلى الحركات التي تمرُّ على الأمم في سبيل رقيِّها. فهذه حركة النهضة في أوروبَّا (Renaissance) كان من أعمدتها تجاهُل الدين، على اعتبار أنَّ الدين يقف في وجه النهضة.[1]

- بينما جاءت الصحوة الدينية الحقَّة بين المسلمين لتجعل من الدين عاملاً من عوامل النهضة، على الرغم من مواقف أولئك الذين يلمِّحون إلى أنَّ الدين لا يُعين على الحراك والنهضة والتقدُّم،[2] فالتفتت الصحوة المؤصَّلة «الإحيائية الثالثة» إلى التراث في الوقت الذي سارت فيه مع الحداثة

---

(١) انظر: أكرم ضياء العُمري. التراث والمعاصرة. ـ مرجع سابق. ـ ص٣٧.

(٢) انظر: ميشال جحا. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين. ـ ص ٨١ ـ ٩٠. ـ والنصُّ من ص ٨٩. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٤ (شباط ١٩٩٠م). ـ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٩٠م. ـ ٢٢١ + ٣٩ ص. وأعيد نشر هذا البحث للمؤلِّف بعنوان: عمر فرُّوخ والاستشراق. ـ الاجتهاد. ـ ع ٢٥ (خريف عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٣م). ـ ص ١٣١ ـ ١٥١. ـ والنصُّ من ص ١٥٠ ـ ١٥١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤصَّلة، لا الحداثة المتنكِّرة للتراث، وأحيت التراث بكتبه «الصفراء» ـ كما نعتوها تنفيرًا منها ـ بالتحقيق والدراسة في التفاتة مؤصَّلة، وأخذت منه النافع المفيد مقوِّمًا من مقوِّمات النهضة.

- واستوى في هذا المنتمون إلى هذه الثقافة من أبنائها وبناتها، وغير المنتمين إليها من بعض المستشرقين التقليديين «الكلاسيكيين» الذين تجرَّدوا من الهوى وابتعدوا عن السياسة وغثائها وظهرت عليهم الاستقلالية العلمية. وهكذا ينبغي أنْ تكون الصحوة الحقيقية عليه، لا تلك الصحوة التي تتنكَّر للحاضر (هذا الحين)، ولا تلك النهضة التي تتنكَّر للماضي والتراث (ذاك الحين)، بغضِّ النظر عن التسميات الملطَّفة كالحداثة وما بعد الحداثة.[1] هذا على اعتبار أننا «لا نستطيع أنْ نحيِّن ثقافتنا العربية الإسلامية دون أنْ نكونَ مدركين لأثر التاريخ فيها وفينا، وفي جملة التحدِّيات التي واجهتها وتواجهها وستواجهها».[2]

---

(١) انظر: سعود بن سعد بن نمر العتيبي. ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنَّة والجماعة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤١١.

(٢) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. تحيين المعرفة وسدِّ الفجوات الثقافية. ـ ص ٨٧ ـ ١٣٥. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ مرجع سابق. ـ ٢٩٦ ص.

- ولا تنسى هذه الفئة الثالثة غير الأخرى، التي هي أقرب إلى الاعتدال في النظر لذاك الحين وهذا الحين، فسعت إلى تأصيل المعرفة وتحيين الإنسان. وهي تلك الفئة التي وقفت من الماضي «التراث» موقف القابل له بعين الفاحص الناقد الذي يحكِّم النقل والعقل في التراث. وحدَّثت من وسائلها، فلم تقف من الحداثة التقانية موقف المتوجِّس الرافض لكلِّ ما هو جديد ومتجدِّد، فليس من خيارات الثقافة الإسلامية «أنْ تبقى على هامش التكنولوجيا التي طرقت بابها. ومن الخطأ القاطع اعتبار التكنولوجيا تحدِّيًا من تحدِّيات الثقافة الإسلامية بشكلٍ مطلق».[1]

- ويسعى أصحاب هذا الموقف المعتدل دائمًا إلى تصحيح التاريخ وتنقيته من بعض ما خالَطَه مما يوافق الأهواء، سواء بدوافع سياسية غالبًا، أم بدوافع عقدية. وليس قبول التراث قبولاً مطلقًا، ولا رفضُه رفضًا مطلقًا، مع التنبيه إلى ما اعترى التاريخ من قدر يسير من تعمية الحقيقة؛ بسببٍ من الهوى أو بتأثير من السياسة، فنبَّه لها أعلام تدوين التاريخ في الماضي والحاضر مثل محمد بن عبدالرحمن السخاوي (توفِّي سنة ٩٠٢هـ) في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ

---

(١) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. تحيين المعرفة وسدِّ الفجوات الثقافية. ـ ص ٨٧ ـ ١٣٥. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ المرجع السابق. ـ ٢٩٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التاريخ،[1] ومحمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) في مقدِّمة تاريخ الأمم والملوك، وابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) في المقدِّمة،[2] وفرانز روزنتال (١٩١٤ ـ ٢٠٠٣م) في كتابه علم التاريخ عند المسلمين.[3] ومحمد أبو اليسر عابدين في كتابه أغاليط المؤرِّخين،[4] وغيرها.

تأثير الانبهار

- يقول عمر عبيد حسنة: «استجاب كثيرون لحالة الانبهار هذه، وتعالت أصواتهم في المجتمع الإسلامي أنْ لا سبيلَ إلى اللحاق بركب الحضارة والمعاصرة إلا بالانسلاخ الكامل من موروثاتنا كلِّها، والالتحاق السريع بركب الحضارة الغربية، ومحاكاة الإنسان الأوروبِّي في كلِّ شيء حتَّى لباسه وعاداته».[5]

---

(١) انظر: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي. الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ/ عني بنشره القدسي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ـ ١٧٥ ص.

(٢) انظر: عبدالرحمن بن خلدون. مقدِّمة ابن خلدون/ تحقيق حامد أحمد الطاهر. ـ القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٧٩٢ ص.

(٣) انظر: فرانز روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين/ ترجمة صالح أحمد العلي. ـ بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٨٦٠ ص.

(٤) انظر: محمد أبو اليسر عابدين. أغاليط المؤرِّخين. ـ دمشق: محمد عزيز عابدين، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م. ـ ٣٤٥ ص.

(٥) انظر: أكرم ضياء العُمري. التراث والمعاصرة. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ٩. ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠). ـ (تقديم عمر عبيد حسنة).

- ويُقرُّ زكي نجيب محمود بهذا الانبهار في ضوء الجهل بالتراث والماضي المليء بالإنجاز الإنساني، حيث يقول: «لم تكن أُتيحت لكاتب هذه الصفحات في معظم أعوامه الماضية فرصةٌ طويلةُ الأمد تمكِّنه من مطالعة صحائف تراثنا العربي على مهل. فهو واحد من ألوف المثقَّفين العرب الذين فُتحت عيونهم على فكر أوروبِّي ـ قديم أو جديد ـ حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأنَّ ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكرَ سواه؛ لأنَّ عيونهم لم تُفتح على غيره لتراه». (١)

- ولا اعتبار لبعض الأطروحات الإعلامية الصحفية المسطَّحة والسريعة، تلك التي تسعى إلى نفي هذا المصطلح «التغريب» وأنه إنما جاء لرفض الحضارة المعاصرة!! والتمترس خلف الشعور بالعجز. فتلك أطروحاتٌ ذات اتِّجاه واحد، مُصادِرٍ للرأي الآخر ومستخفٍّ به ساخر منه وغير قابلٍ للنقاش على طريقة ما أُريكم إلا ما أرى.

- ويُضيف زكي نجيب محمود قائلاً: «ولبِثْتُ هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعوامًا بعد أعوام؛ الفكر الأوروبي دراسةً وهو طالبٌ، والفكر الأوروبِّي تدريسُه وهو أستاذ، والفكر الأوروبِّي مَسْلاتُه كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ.

---

(١) انظر: زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي. ـ بيروت: دار الشروق، ١٩٧١م. ـ ص ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداءً مُفكَّكةً متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين». (١)

- ومع حسرته على ما مضى من عمره من تجاهُل لتراثه، لم يستطع أنْ يتخلَّص من تأثير انبهاره بالتغريب، حينما صوَّر محاولته استدراك ما فاته من معرفة بالتراث العربي الإسلامي بالجولات المتتابعة على غرف متحف اللوفر بباريس، وليس لديه إلا يومان ليغطِّي غُرف المتحف جميعها! ولو ضرب مثلاً بمعالم غرناطة أو قرطبة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة، ناهيك عن مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة والقدس الشريف، لكان ألصَقَ إلى ما كان يصبو إليه.

- ثمَّ يتساءل زكي نجيب محمود في سعيه لتجديد الفكر العربي: «كيف السبيل إلى ثقافة موحَّدةٍ متَّسقةٍ يعيشها مثقَّفٌ حيٌّ في عصرنا هذا، بحيث يندمج فيها المنقول والأصيل في نظرة واحدة؟!». (٢)

- هذا الانبهار بمعطيات هذا الحين دون ذاك الحين جرَّ هذه الفئةَ من المنبهرين إلى التصديق بالأطروحات التي تحصر

---

(١) انظر: زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص٥.

(٢) انظر: زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي. ـ المرجع السابق. ـ ص٦.

هذا الحين بمعطياته الحضارية والفكرية بالغرب الأوسط والغرب الأقصى (أوروبَّا الغربيَّة وأمريكا الشمالية) إلى الانسياق في طرح تصادُم ـ أو صدام وليس مجرَّد صراع ـ الحضارات الذي أعلن عنه السموأل «صموئيل» فيليبس هنتنجتون (١٩٢٧ ـ ٢٠٠٨م)، في محاضرة له سنة ١٩٩٢م،[١] ثم نشرها في مجلَّة الشؤون الخارجية (Journal of Foreign Affairs)، ثمَّ طرح الفكرة أو المشروع ـ لا النظرية ـ في حلقات تدريسية في جامعة هارفارد في الغرب الأقصى (الولايات المتَّحدة الأمريكية) بين سنتي ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥م، إلى أنْ أخرجها في كتاب سنة ١٩٩٦م.[٢]

- يقول جورج قُرم عن كتاب السموأل هنتنجتون، الهزيل، صدام الحضارات: «لا يسعنا أنْ نفهم الذي حصده هذا الكتاب المعبِّر عن فوضى فكرية عارمة، وتشيع فيه ضحالة في التحليل قلَّ نظيرها، إلا إذا أدركنا أنه يَستغلُّ إلى أقصى

---

(١) انظر: صامويل هنتنجتون. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي/ ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه. ـ ط ٢. ـ القاهرة: سطور، ١٩٩٩م. ـ ٢٢٥+ الهوامش. وانظر إلى طبعة أخرى في: صموئيل هنتنغتون. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي/ ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمَّد خلف. ـ مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية، ١٩٩٩م. ـ ٣٩٠ ص.

(٢) انظر: عزَّ الدين عمر موسى. بين حوار الحضارات وتصادُمها: رؤية مغايرة. ـ الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ص ١١ ـ ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحدود وجود الشرخ المتخيَّل بين الشرق والغرب الذي هو صنيع الظروف الجيوسياسية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي». (١)

- ولم يكن السموأل هنتنجتون ـ على أيِّ حال ـ هو السابق لهذا الطرح، ولم يكن هو المبتدع له، بل هو مسبوق إليه منذ زمن الفيلسوف المستشرق الفرنسي إرنست رينان السابق ذكره الذي أخذ بمذهب حرِّيَّة الفكر، وجعل من العنصريَّة والتفوُّق الجنسي دعوةً له، مرورًا بليستر بيرسون (١٨٩٧ ـ ١٩٧٢م)، وبرنارد لويس (١٩١٦) ومايكل فلاهوس وروستوفاني وزولت ووليام لند وجون جالتونج (١٩٣٠م). (٢)
- على أنَّ هذه الوقفة لا تناقش مشروع صدام الحضارات، سوى أنه من الطروحات التي هتف لها بعضُ المنبهرين بالأطروحات الوافدة من الغرب الأقصى. (٣) ويبدو أنَّ في الذهن تلك النغمة التي تريد الخلاص من ذاك الحين شرطًا من شروط الالتقاء مع الثقافات الأخرى، التي هي بدورها لم تتخلَّ عن ذاك الحين؛ لتتلاقى مع الآخرين في مشروع ثقافي مصطنع وافتراضي، لا محلَّ له في واقع الثقافات.

---

(١) انظر: جورج قُرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣م. ـ ص ١١٨.

(٢) انظر: عزَّ الدين عمر موسى. بين حوار الحضارات وتصادُمها: رؤية مغايرة. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١.

(٣) انظر: هادي المدرسي. لئلا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. ـ بيروت: دار الجديد، ١٩٩٦م. ـ ١٧٤ ص.

- وليس الغريب أنْ يظهر المشروع عن الغرب الأقصى أو الأوسط، فقد تعوَّدت الساحة الثقافيةُ بمثلها وأكبر منها من النظريات أو المشروعات التي يُقصد بها إلغاء الموروث، لا سيَّما المقدَّس منه.

الاستثناء من التراث

- على أنه من المهمِّ ألاَّ يُعدَّ المقدَّس في ثقافتنا، وهو هنا الذِّكْرُ أو الكتاب والسنة، من الموروث، وإنما هو وحيٌ يوحى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤)، فهو مستثنىً من المفهوم السائد للتراث القابل للنقد والأخذ والردِّ، من منطلق المقولة التأصيلية التي جهر بها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ومجاهد ـ رحمه الله ـ وغيرهما ممَّن جاء بعدهما: ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبيَّ ﷺ. وقال الإمام البخاري في رَفْعُ الْيَدَيْنِ :حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَان (ابن عيينة)، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيم (ابن مالك الجزري)، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلاَّ النَّبِيَّ ﷺ. وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.
- يقول أكرم ضياء العُمري: «ورغم أنَّ مصطلح التراث (LEGACY) في الحضارة الغربية المعاصرة يُطلق أيضًا على المخلَّفات الحضارية والدينية، فإنَّ الروح العَلمانية (غير الدينية) المهيمنة على الفكر الغربي الحديث جعلته لا يميِّز بين الدين والإرث الحضاري، بل هو يتعامل مع التراث على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سواء بين ما مصدره الإنسان المخلوق وما مصدره الإله الخالق، فالكلُّ يتعرَّض لعمليَّة النقد والانتقاء والقبول والرفض، ويخضع الدينُ لهذا المنهج دون أيَّة قداسة». (١)

- وقد تسرَّب هذا الفهم لبعض مفكِّري المسلمين المعاصرين، وجعلوا من نقد النصِّ غايةً من غايات الفكر والإبداع، دونما نظر بالضرورة لمصدر هذا النصِّ وقدسيَّته، وسعوا إلى نقد النصِّ القرآني الإلهي من منطلق نقد المفهوم الألسني، الذي قاد إلى اعتبار أنَّ هذه النصوص المقدَّسة ليست مستثناة من النقد، دون النصِّ الصريح على هذا. وتطاول بعض العقلانيين على الآيات الكريمة (النصِّ القرآني) من كتاب الله تعالى، وسعوا إلى الجرأة عليها دون مستندٍ علمي توثيقي، بل ربَّما قادهم هذا العقل إلى هذا مصحوبًا بالهوى. والإمام الحافظ عبدالرحمن بن مهدي يقول: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الهوى يكتبون مالهم». (٢) ويُترك التفصيل في ذلك لأهل الاختصاص.

- والغريب هو أنْ يستجيب بعض أهلنا ومفكِّرينا من المنبهرين بهذا المشروع الذي آلَ إلى الدعوة إلى تطبيقه في بيئتنا. وفي سبيل تمثُّله في بيئتنا ـ في نظر هذه الفئة - كان علينا أنْ نهوِّن

---

(١) انظر: أكرم ضياء العُمري. التراث والمعاصرة. ـ مرجع سابق. ـ ص٢٩.

(٢) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل. ـ ط ٧. ـ الرياض: المحقِّق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ص٨٥.

من ماضينا وننكر، أو نتنكَّر، لما دار فيه من مشروعات حضارية، علمية وأدبية وفنيَّة، وأننا ـ نحن المسلمين على رأي هذه الفئة ـ قد عشنا على هامش الحضارة، فلم نستفِد منها، واتَّكأنا على التراث بكتبه الصفراء(!) بل إننا ـ على رأي هذه الفئة ـ قد حاربنا الإبداع، ولم نرَ أنَّ للدين علاقةً بالمبادرات والإبداع. وتحوَّلنا، على رأي محمَّد كرد علي؛ إلى أننا نسينا القديم ولم نتعلَّم الجديد.[1] وأصبحت العناية بكتب التراث الديني وغير الديني مؤشِّرًا من مؤشِّرات الظلامية والرجعية والتخلُّف، وأوصاف أخرى كلُّها تصبُّ في التنقيص من التراث والتهوين من الغائصين فيه دراسةً وتحقيقًا ونشرًا![2]

- وقد حصل ذلك، فهذا ميشال جحا لا يرى للدين علاقةً بالأكاديمية والإبداع، ويضرب مثلاً بالباحث في التراث العربي الإسلامي محمد فؤاد سزكين العالم المسلم الذي واصل مسيرة المستشرق الألماني كارل بروكلمان (١٢٨٥ ـ ١٣٧٦هـ/ ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م) في التأريخ للتراث العربي

---

(١) انظر: فرحان السليم. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (١). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm ٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

(٢) انظر: محمود خليف خضير الحيَّاني. الاستشراق والاستغراب: السلطة ـ المعرفة ـ السرد ـ التأويل ـ المرجعيات. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٣ ـ ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامي،[1] إذ يعدُّ ميشال جحا فؤادَ سزكين مستشرقًا وإنْ كان مسلمًا، ورآه على أنه «أستاذ في جامعة فرانكفورت، ويحمل الجنسية الألمانية، ويعمل في حقل تاريخ الأدب العربي، ويكمل ما قام به بروكلمان. فالأدب العربي بالنسبة إليه أدبٌ غريب، كذلك اللُّغة العربية، ومن هذه الناحية لا يختلف عن بروكلمان سوى أنه مسلم».[2] ثم يخلُص ميشال جحا إلى القول: «ومتى كان الدين عاملاً يدخل في الأعمال الأكاديمية والإبداعية؟!».[3] وإذا لم يكن الدينُ عاملاً يدخلُ في الأعمال العلمية والإبداعية فلا خيرَ فيه من دين.

- مع أنَّ الأستاذ الباحث فؤاد سزكين قد درس في مصر، وأنجز أطروحته للدكتوراه باللغة العربية في مصر، وكانت عن كتاب من كتب التراث العربي، المكتوب باللغة العربية. وهو يجيد اللغة العربية إجادةً تامَّةً، بالإضافة إلى لغاتٍ أخرى.

---

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤٢٤ ـ ٤٣٠.

(٢) انظر: ميشال جحا. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨١ ـ ٩٠.

(٣) انظر: ميشال جحا. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين. ـ المرجع السابق. ـ ص ٨١ ـ ٩٠.

تجاهُل الحضارة

- ذهب الرأي ببعض المنبهرين بالحضارة المعاصرة إلى تجاهُل الحضارة الإسلامية، وأنَّ ما جاء فيها من إبداعات إنما هو استثناء، وفي المقابل ـ ومن قبيل الانبهار ـ ما جاء في الحضارة الغربية المعاصرة من مآسٍ وحروب وزعماء سياسيين ومفكِّرين كانوا إلى أفعال الشيطان أقرب إنما هو استثناء. ويكفي ذكر أنَّ ضحايا الحربين العالميتين بلغ ٣٥١٪ من مجموع الذين خاضوا هاتين الحربين من المقاتلين مباشرةً، مع أنهم لم يكونوا جميعًا من الضحايا، ما يزيد من نسبة ضحايا الحربين الأبرياء. فصار الإيجابي الكثير في حضارتنا استثناءً، وصار السلبي الكثير في حضارات الآخرين ـ لا سيَّما الحضارة الغربية المعاصرة ـ استثناءً!

- ويرى عبدالله الشارف أنَّ هذه الحالَ تعبِّر عن ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته. نشأت في المجتمعات غير الغربية ـ سواء أكانت إسلامية أم لا ـ على إثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل حقبة الاحتلال وخلاله.[1] وقيل عن هذه الفئة الأخيرة إنها تمثِّل «طبقةً

---

(١) نقلاً عن موقع الدكتور عبدالله الشارف. ـ ٣/ ١١/ ١٤٣٦هـ ـ ١٩/ ٨/ ٢٠١٥م. /www.charefab.com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثقافية ظهرت في بداية القرن المنصرم؛ لتظهرَ ثنائيةٌ على الساحة الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث، طبقة تأثَّرت بالكُتَّاب الغربيِّين في المناهج والمفاهيم والطرق والعلوم كافّةً». (١)

- وفي هذا إغراق في الانبهار مع شعور منخفض بالانتماء الحضاري مع غلبةٍ في الدونية والاغتراب وليس بالضرورة التغريب، فترى هذه الفئة «يسكتون عن حسنات التراث، ويضخِّمون ما فيه من فتنٍ وانحرافات». (٢) فنكون قد نصرنا أعداءنا في حروب ـ كما يقول الموسوعي عبدالوهَّاب المسيري (١٩٣٨ ـ ٢٠٠٨م) رحمه الله ـ لم يخوضوها. (٣)

- وكان أنور عبدالملك (١٩٢٤ ـ ٢٠١٢م) في السبعينات الميلادية يسمِّي هذه الفئة من المتجاهلين للحضارة الإسلامية قصدًا بالعملاء الحضاريين، «هذه الفئة المتغرِّبة

---

(١) نقلاً عن موقع الدكتور عبدالله الشارف. ـ ٣/ ١١/ ١٤٣٦هـ ـ ١٩/ ٨/ ٢٠١٥م. www.charefab.com/ وانظر له أيضًا: الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر. ـ الرباط: منشورات كلية الآداب تطوان، ٢٠٠٣م. وله كذلك: الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب. ـ طنجة: منشورات كلية الآداب تطوان، ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: فرحان السليم. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (٢). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm ٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الموسوعات الفردية: المسيري أنموذجًا. ـ مرجع سابق. ـ ١٢٦ ص.

التي تتصرَّف في إطار من النقل والمحاكاة...».[1] مع أنَّ المفكِّر المصري أنور عبدالملك لم يكُن يدين بدين هذه الحضارة، لكنه تسنَّم ثقافتها. ويقول فرحان السليم: «والثقافة العربية ليست مستوردة ولا مترجمة ولا ملفَّقة ولا منغلقة، بل هي ثقافة تعتمد على الإبداع الذي ينبع من التأمُّل والنظر في الكون، ولا حدودَ لهذا الإبداع فأفقه مفتوح».[2]

- الوعي بالغرب لا يعني التنكُّر لمعطيات الشرق (الإسلامي هنا)، بحيث تُتجاهل جميع الجهود العلمية والفكرية للعرب والمسلمين، وأنهم لم يكونوا ـ ولن يكونوا ـ شيئًا مذكورًا. ولا يقتصر هذا الموقف على العرب الذين هاجروا إلى المحور، أو المركز، وتركوا الأطراف أو المحيط، وآثروا القطيعة مع ثقافتهم وتراثهم، «بل هناك من لا يزال يدعم هذا الفريق وأطروحاته داخل مجتمعاتنا، بحيث يدفعهم سوء الأوضاع السائدة إلى إدراك خاطئ للغرب، وإسقاط «وعي

---

(١) انظر: أنور عبدالملك. أنا دائمًا مع ريح الشرق. ـ ص ٦١ ـ ٧٧. ـ في: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ٢٠٠٠م. ـ ٣١٩ ص.

(٢) انظر: فرحان السليم. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (١). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm (٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

زائف» على حضارته وإنجازاته وقدراته التي تمتلك العلم والمعرفة والفكر، وربَّما كلَّ شيء!».[1] ويظهر أنَّ هذا الفريق من المفكِّرين يعيش مأزقًا حقيقيًّا، لا يسعى إلى الخروج منه بصورة مشرِّفة.[2]

- ومما لا بُدَّ من الوقوف معه للتأمُّل هو أنه في الوقت الذي يتنكَّر فيه فريق من قومنا لذاك الحين (التراث) نجد من الآخرين من المستشرقين والمفكِّرين الغربيِّين من غير المستشرقين على اختلاف فئاتهم ومدارسهم ولغاتهم وأطروحاتهم، نجد منهم عنايةً غيرَ متوقِّفة بالتراث العربي الإسلامي (ذاك الحين)، من خلال الجمع والحفظ والتحقيق والدراسة والنشر. والأمثلة على هذا المنعطف تطول ولا يسمح بها مقام هذا البحث.

- ومن الجهود التي تُذكر للاستشراق الألماني التي لا بُدَّ من التوقُّف عندها ـ على سبيل المثال ـ تلك المكتبة، أو النشرات، الإسلامية Bibliotheca Islamica، التي أنشأها المستشرق الألماني هلموت ريتر (١٨٩٢ -١٩٧١م) بتركيا، وكان مشرفًا على معهد الآثار الألماني في إسطنبول طوال

---

(١) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩.

(٢) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ المرجع السابق. ـ ص ٩.

ثلاثين سنة لتحقيق النصوص الإسلامية، ولا سيَّما ذات اللغة العربية.[1] ومنها من العناية بالتراث ما يدعو إلى التسجيل والإعجاب.[2] (انظر الملحق).

- وفي نقد هذه الثنائية العجيبة المصطنعة بين ذاك الحين وهذا الحين، لكنها ـ في الوقت نفسه ـ واقعيَّة يقول عمر عبيد حسنة: «وقد لا يجد الإنسان المتأمِّل كبيرَ فارق بين دعاة المعاصرة، هؤلاء الذين لا يرون سبيلها إلاَّ بالتخلِّي عن الذات المترافق مع الشعور باستحالة اللحاق بالعصر، الذي يَشلُّ الإمكانيَّة ويُعطِّل الفاعلية، فيدعون إلى تقليد الغالب في الشيء كلِّه، وبين التراثيِّين، أولئك الذين يقتصرون على الفخر بالماضي والاعتزاز به؛ بحجَّة أنَّ الأوَّلين لم يتركوا للآخرين شيئًا، كبديل عن الإسهامات المعاصرة، من حيث النتيجة والممارسة العملية، وإنْ اختلف المنطق. إنَّهم يقفون على أرض واحدة، ويتنفَّسون هواءَ مناخ واحد هو مناخ الواقع المتخلِّف».[3]

- هي ثنائية عجيبة مصطنعة؛ لأنَّ كلَّ طرف منها يعزو التخلُّف

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق بين منحيين: النقد الجذري أو الإدانة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٤هـ. ـ ٦١ ص. ـ (سلسلة كتاب المجلَّة العربية؛ ٢٠١).

(٢) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ٢: ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٣) انظر: أكرم ضياء العُمري. التراث والمعاصرة. ـ مرجع سابق. ـ ص١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي تعانيه الأمَّة إلى التخلِّي عمَّا يدعون إليه. فتخلُّف الأمَّة لدى دعاة ذاك الحين يُعزى إلى التخلِّي المطلق عن التراث، بمعطياته العلمية والفكرية، وبما فيه مما لا يُناسب هذا الحين، ومن ثمَّ التعلُّق بمعطيات هذا الحين بتخبُّطاته الفكرية.(١)

- بينما يرى رضوان السيِّد في كتابه «التراث العربي في الحاضر» (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، أنَّ العناية بالتراث وقراءته ونشره يُسهمان في تنوير العقل العربي والنهوض به؛ «لأنَّ مثل هذه الدراسات تُساعد على إعادة كتابة التاريخ الثقافي بالمعنى الواسع للتجربة الفكرية العربية والإسلامية في أزمنتها الكلاسيكية».(٢)

- ويتساءل المستشرق الألماني ميكلوش روماني الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة بون بألمانيا، والأستاذ بمعهد دراسة اللغات الشرقية: كيف يُمكنُ البحثُ ودراسة هذه القضايا الحديثة والمعاصرة مع الجهل بالعلوم الإسلاميةِ وفروعها. لقد أصبح (للأَسفِ أيضًا) مِن المُعتادِ أَنَّ طالبًا

---

(١) انظر: Mehmet Ozalp. Islam between Tradition and Modernity: An Australian Perspective-Barton, Australia: Barton Books, 2012-309 p.

(٢) انظر: يوسف سلُّوم. رضوان السيِّد: الإسلام والتراث ليسا سبب المشكلات الراهنة ولا يملكان الحلَّ. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٨٩١٥ (٢٦/ ٣/ ١٤٣٦هـ/ ١٧/ ١/ ٢٠١٥م). ـ ص ٢١.

جامعيًا متخصصًا في الدراسات الاستشراقية، ومع ذلك لم يقرأ سطرًا في تفسير الإمام الطبريِّ، ولم يسمعْ باسم الحافظ ابن حَجرٍ العسقلاني، وهذا على سبيل المثال فقط.[1]

- وتخلُّف الأمَّة لدى دعاة هذا الحين يُعزى إلى عدم الأخذ بمعطيات العصر من علوم وآداب وفنون، والتمترُس وراء ذاك الحين الذي لا يُنتظر منه التوافُق مع هذا الحين، والهروب إليه؛ لإيجاد العزاء بما احتواه من إنجاز حضاري لا يُنكر.

---

(١) انظر: ملتقى أهل الحديث (شبكة التفسير). مقابلة مع المستشرق الألماني ميكلوش موراني. ـ بون، ألمانيا، (الخميس ١/١/١٤٢٦هـ ـ ٧/٢/٢٠٠٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

١ - من سنن الله في هذا الكون بناؤه في الدنيا والآخرة على منظومة الثنائية في معظم مقوِّمات الحياة، بل إنَّ الدنيا والآخرة في ذاتهما ثنائيتان لكلٍّ منهما وظائفه، ولكلٍّ منهما متطلَّباته. وتنتظم هذه الثنائيات الكونية في عدم استغناء أحد طرفيها عن الطرف الآخر. وقد تكون الثنائية ثنائيةَ تضادٍّ أو ثنائيةَ اختلافٍ أو ثنائيةَ تقابُلٍ. والوحدانية مخصوصة في هذا السياق وفي غيره لله تعالى الذي لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولداً ولا شريكَ له في الملك.

٢ - من الثنائيات ما يجب فيها أنْ تلتقي ليعمرَ الكون، ومنها ما يحسن لها أنْ تلتقي، ومنها ما لو التقت لفسد الكون. فكلٍّ منها له وظيفته التي خلقها الله تعالى لها وسخَّرها لها. فالذكر لن يكون أنثى والأنثى لن تكون ذكرًا.

والبحر لا يكون يابسةً واليابسة لا تكون بحرًا، إلا بفعل الإنسان وعوامل التعرية الكونية. ولو حاول الإنسان أنْ يقوم بوظيفة الثنائي الآخر فلن يستطيع، وإنما المحاولة نفسها من بني الإنسان تأتي من فساد الأخلاق التي قد تفضي إلى فساد الكون وفناء الإنسان حينما يعبثُ هذا الإنسان بنواميس الكون،[1] فهذا الكون لم يُخلق عبثًا.

٣ ـ ومن الثنائيات التي لا تلتقي حسًّا تلك التي تلتقي معنىً كالجهات الرئيسية الأربع من الشرق والغرب والشمال والجنوب. ومنها ما اصطنعه الإنسان، وأراد له ألاَّ يلتقي، لكنه تمرَّد على الإنسان فالتقى كاليمين واليسار فكريًّا والشمال والجنوب سياسيًّا. فما اصطنعه الإنسانُ ثنائيًّا لا يدوم. وما أراده الله تعالى أنْ يكون ثنائيًّا يبقى كذلك، حتى يأذن الله تعالى بنهاية هذا العالم فتختلط الثنائيات في الحياة الدنيا، وتبدأ ثنائيتا الحياة الآخرة.

٤ ـ لا يُضيف هذا البحثُ جديدًا ـ في نقاش ذاك الحين وهذا الحين ـ سوى إثارة الموضوع من جديد، والتوكيد على تبنِّي المنهج الوسط المعتدل الذي لا يتخلَّى عن ذاك الحين (التراث) بمعطياته الحضارية ومنجزاته

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٤٥ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفكرية والمادِّية، وأنه الأساس الذي بُنيت عليه الحضارات المتعاقبة، فيما لا بُدَّ من التوكيد عليه ـ أيضًا ـ في استعانة حضارة المسلمين بالحضارات السابقة لها والمعاصرة في غير علوم الدين، دون أنْ يؤخذ هذا كلَّه على علَّاته بانتصار عاطفي، أخذًا بالحسبان عدم اعتبار الكتاب والسُّنة من الموروث الخاضع للنقد البشري أو الآنية. وذلك كلّهُ في ثنائية إيجابية معتدلة لا تُنكر الاستمداد ولا تتنكَّر للمؤصَّل.[1] «فالمواءَمة بين الموروث والجديد يحفظ للأمَّة هُويَّتها ويجدِّد طاقتها على النماء والتطوُّر».

٥ ـ يقول فرحان السليم: «إنها ثنائية مقبولةٌ إذا أعطيت الكلمة حقَّها من الفهم والتحليل. وهي ثنائيةٌ التكامُل لا ثنائية التضادِّ والتقابُل. وقد أحسن د. عبدالمعطي الدالاتي صياغتها بقوله: «لن تمتدَّ أغصاننا في العصر حتَّى نعمِّق جذورنا في التراث».[2]

٦ ـ وتوقن هذه الثنائية الإيجابية بأنَّ العلم والمعرفة والفكر ليس حكرًا على ثقافة بعينها، ولا على جهة بعينها، ولا

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. ـ مرجع سابق. ـ ٨٧ ص.

(٢) انظر: فرحان السليم. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (١). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm (٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

على زمان بعينه. كما تُدرك أنها قادرة على الإسهامات الإيجابية في إعمار الأرض والاستخلاف عليها، ونشر العلم والنور، ونبذ الجهل والظلام في تحالُف ثقافي يأخذ ويُعطي.

٧ ـ وهو موقف لا يستهين ـ في الوقت نفسه ـ بهذا الحين، بما وصل إليه من تطوير لأدوات الحضارة ومقوِّماتها في شتَّى صنوف الحياة، ولا يتنكَّر له ولا يقلِّل من شأن القائمين عليه من أهل العلم والمعرفة والباحثين عن الحكمة والحقيقة، دون اعتبار للجهوية ولا للخلفية الثقافية، غير مكتفٍ بذاك الحين من منطلق أنه لم يترك السابقون للَّاحقين شيئًا، وأنه لا أحدَ سيأتي بما أتت به الأوائلُ.

٨ ـ وفي هذا الموقف المتحيِّز للماضي فقط توقُّف عن التفكُّر والتدبُّر والتعقُّل الذي يدعو له القرآن الكريم في كلِّ زمان ومكان، كما أنَّ فيه مصادرةً لجهود الإنسان في الارتقاء والاستخلاف في الأرض والفضاء وما على الماء وما في جوف الما، وما تحت الأرض وما تحت السماء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ (الرحمن: ٣٣).

٩ ـ ويستعير هذا البحث ما ختم به فرحان السليم نقاشه في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حلقتين حول الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة ـ رغم طولها ـ اعترافًا له بالسبق، وذلك في النصِّ الآتي بصياغة توصيات:

١٠ ـ «ضرورة تواصُل الحوار بين المخلصين من الطرفين: الأصالة والمعاصرة؛ لتصحيح المفاهيم، وإزالة الشبهات، وتقريب الشقَّة، ومحاولة توسيع مساحة المتَّفق عليه، وتأكيد التعاوُن فيه، والمناقشة الجادّة في المختلف فيه، والعمل على تضييقه، والاجتهاد في الوصول إلى الصواب أو الصحيح أو الأصحِّ، وأنْ نعمل بالقاعدة الذَهبية: (نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)». ـ على حدِّ قول فرحان السليم.

١١ ـ تأكيد كرامة الإنسان: لقد وجَّه كثير من مفكِّري الغرب النقد العنيف إلى الحضارة الغربية التي أعلت من شأن المادة وهبطت بقيمة الإنسان، فعلينا أنْ نؤكِّد ذلك ونتبنَّاه، ونجعل من ثقافتنا الإنسانية واقعًا حيًّا في أرضنا ومجتمعاتنا، ونمكِّن لها في حياتنا العقلية والوجدانية، حتى تؤدِّي دورَها المطلوب في البناء والإعلاء.

١٢ ـ لا تناقُضَ في ثقافتنا بين العروبة والإسلام، إلا إذا حُرِّفت العروبة فكانت معاديةً للإسلام راغبةً في أنْ تزيحه وتحلَّ محلَّه، وحُرِّف الإسلام فكان معاديًا

للعروبة راغبًا في إزاحتها والحلول محلَّها. ومع قيام محاولات متعدِّدة لهذه الإزاحة، إلا أنه لن يتأتَّى تحريفُ الإسلام؛ لحفظ الله تعالى له وللذكر الذي جاء به. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

١٣ ـ لا صراع في ثقافتنا بين العلم والدين، أو بين العلم والإيمان أو بين العقل والنقل... وفي القول بأنَّ العقل أساس النقل نوعٌ من تقديم العقل على النقل. وهذا بهذا الفهم لا يتَّفق مع منهج أهل السنَّة والجماعة في عدم تقديم العقل على النقل.[1] والنقل يُشيد بالعقل ويحتكم إليه، ولا تعارُض بين صحيح المنقول وصريح المعقول. لذا يجب أنْ نعلي من شأن الإيمان والعلم حتى تدخل الأمَّة العصر بجناحين راسخين.

١٤ ـ لا تعارُضَ بين الأصالة الحقة والمعاصرة الحقَّة، إذا فهمت كلٌّ واحدة منهما على حقيقتها. إذ نستطيع أنْ نكون معاصرين إلى أعلى مستويات المعاصرة، وأنْ نبقى كذلك أُصَلاء حتى النخاع. إنما تتعارض الأصالة والمعاصرة، إذا فُهمت الأصالة على أنها الاحتباس

---

(١) انظر في هذا: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، أبا العبَّاس تقيَّ الدين. درء تعارُض العقل والنقل/ تحقيق محمد رشاد سالم. ـ ١١ مج. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاختياري في سجن الماضي، والمعاصرة على أنها الدوران في رحى الغرب. هذا على أنَّ مفهوم الماضوية هي الإقامة الدائمة فيما مضى، والحنين هو الرغبة في العودة إلى الماضي مع المضيِّ قُدُمًا، أمَّا التحيين فهو الربط بين الماضوية والحنين.

١٥ ـ لذا يجب أنْ نرفضَ اتجاهين متطرفين: الاتِّجاه الأوَّل الذي ينتهي بالأصالة إلى الجمود والتحجُّر، والاتِّجاه الثاني الذي ينحو بالمعاصرة نحو الفناء في الغرب، واتِّباع سننه «شبراً بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلوه»،(١) ولا يكتفي بأخذ العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة والتنظيم فيه، واقتباس كل ما تنهض به الحياة، بل هو يصرُّ على نقل الأنموذج الغربي إلينا بكل عناصره ومقوِّماته، ولا سيَّما جذوره الفلسفية، ومفاهيمه الفكرية، ومجالاته الأدبية، وتقاليده الاجتماعية، وقوانينه التشريعية، ومؤثراته الثقافية».(٢)

١٦ ـ كلُّ ذلك بعد مراعاة توافُقه مع صريح المنقول وصحيح

---

(١) يشير الكاتب إلى ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذوَ القُذَّة بالقُذَّة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ خرب لدخلتموه).

(٢) انظر: فرحان السليم. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (٢). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm (٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

المعقول، على اعتبار أنَّ أمَّة الإسلام أمَّة النص الصريح من كتاب الله وسنَّة رسوله سيِّدنا محمد بن عبدالله ﷺ. وتلك ثنائية قديمة تتجدَّد في ضوء البحث عن الذات في خضم الدعوة إلى انصهار العالم في قرية كونية تتلافى بها جميع الفروقات العرقية والثقافية والاجتماعية، بل والاقتصادية والسياسية، دون اللجوء إلى الاستثناءات الثقافية التي تحفظ للأمم والشعوب كياناتها الثقافية، على اعتبار أنَّ التميُّز حافزٌ من حوافز التنافُسية العلمية والروحية والفكرية والتقانية. وتلك أماني «wishful-thinking» تُبسَط نظريًّا ولا ينتظر منها أنْ تكون قابلةً للتطبيق بكلِّيتها، ليس من الرافضين ابتداءً، بل من الداعين لها من باب الأماني. وتلك أمانيُّهم لو تحقَّقت لما صلح الكون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراجع البحث

١ ـ إبراهيم، عبدالله. المطابقة والاختلاف: بحثٌ في نقد المركزيات الثقافية. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م. ـ ٧١٢ ص.

٢ ـ أبو عطا الله، فرج الله عبدالباري. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام. ـ ط ٢. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م. ـ ٤٨٤ ص.

٣ ـ أبو الوفا، أحمد. أخلاقيَّات الحرب في السيرة النبوية: دراسة مقارنة مع القواعد الحاليَّة للقانون الدولي الإنساني. ـ القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٣٢٢ ص.

٤ ـ أحمد، أكبر. الإسلام تحت الحصار/ ترجمة عزَّت شعلان. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٤م. ـ ٢٣٢ ص.

٥ ـ أرسطو. كتاب السياسات/ نقله عن الأصل اليوناني إلى العربية الأب أوغوسطيس بربارة البولسي. ـ بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، ١٩٥٧م. ـ ٥٢٠ ص.

٦ ـ الأمراني، حسن. أيُّها الغرب أين مشرقُك؟. ـ ص ١١٦. ـ في: مصطفى سلوي. الخطاب الاستشراقي في أُفُق العولمة: يومٌ دراسيٌّ. ـ وجدة: جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٣م. ـ ١٦٦ ص.

٧ ـ الأمراني، حسن. تحيين المعرفة وشروطها. ـ ص ٤٥ ـ ٥٧. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

٨ ـ أمين، جلال. عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ١٤٣ ص.

٩ ـ باتن، كريس. شرقٌ وغربٌ: السلطة والحرِّيَّة والمستقبل/ ترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. ـ أبو ظبي: المركز، ٢٠٠٣م. ـ ٣٧٣ ص. ـ (سلسلة دراسات مترجمة؛ ١٣).

١٠ ـ البدوي، يوسف أحمد محمد. مقاصد الشريعة عند ابن تيمية. ـ عمَّان: دار النفائس، ٢٠٠٠م. ـ ٦٠٨ ص.

١١ ـ ابن تيمية، أبو العبَّاس تقيُّ الدين أحمد بن عبدالحليم. درء تعارُض العقل والنقل/ تحقيق محمد رشاد سالم. ـ ١١ مج. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢ـ الجابري، محمد عابد. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. ـ ط ٤. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م. ـ ٣٧٦ ص.

١٣ـ جحا، ميشال. عمر فرُّوخ والاستشراق. ـ الاجتهاد. ـ ع ٢٥ (خريف عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٣م). ـ ص ١٣١ ـ ١٥١.

١٤ـ جحا، ميشال. موقف الدكتور عمر فرُّوخ من الاستشراق والمستشرقين. ـ ص ٨١ ـ ٩٠. ـ في: الاستشراق. ـ ع ٤ (شباط ١٩٩٠م). ـ بغداد: دار الشؤون الثقافية العامَّة، ١٩٩٠م. ـ ٢٢١ + ٣٩ ص.

١٥ـ حسن، محمد خليفة. تاريخ الأديان: دراسة وصفية مقارنة. ـ القاهرة: دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م. ـ ٣٤٢ ص.

١٦ـ حمودي، عبدالله. الحداثةُ والهُويَّة: سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥م.

١٧ـ حنفي، حسن. التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم. ـ ط ٤. ـ القاهرة: المؤسَّسة الجامعية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ١٩٤ ص.

١٨ـ حنفي، حسن. مقدِّمة في علم الاستغراب. ـ بيروت: المؤسَّسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ص ٦٥٠ ص.

١٩ـ الحيَّاني، محمود خليف خضير. الاستشراق والاستغراب: السلطة ـ المعرفة ـ السرد ـ التأويل ـ المرجعيات. ـ عمَّان: دار غيداء، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ١٥٢ ص.

٢٠ـ ابن خلدون عبدالرحمن. مقدِّمة ابن خلدون/ تحقيق حامد أحمد الطاهر. ـ القاهرة: دار الفجر للتراث، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٧٩٢ ص.

٢١ـ خليل، جورج. الأقباط في مصر الحديثة: نظرة في النزاعات القبطية في الأربعينات والخمسينات. ـ الاجتهاد. ـ ع ٣٠ (شتاء ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٣٢.

٢٢ـ خليل، عماد الدين. نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله. ـ بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ص ١٣٢.

٢٣ـ الديوب، سمر. الثنائيات الضدية: دراسات في الشعر العربي القديم. ـ دمشق: وزارة الثقافة، الهيئة العامَّة السورية للكتاب، ٢٠٠٩م. ـ ١٦٧ ص.

٢٤ـ الديوب، سمر. مصطلح الثنائيات الضدِّيَّة. ـ عالم الفكر. ـ ع ١ مج ٤١ (يونيو ـ سبتمبر ٢٠١٢م). ـ ص ٩٩ ـ ١٢٦.

٢٥ـ راشد، طارق. إلى متى ستعيش؟: قوَّة مصافحتك تنبئ بطول عمرك. ـ المجلَّة العربية. ـ ع ٤٦٥ (شوَّال ١٤٣٦هـ/ أغسطس ٢٠١٥م. ـ ص ٩٨ ـ ١٠٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٦ـ رسول، رسول محمد. الغرب والإسلام: قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م. ـ ١٥٤ ص.

٢٧ـ الرشيد، هيفاء بنت ناصر. حركة العصر الجديد: مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها. ـ جدَّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٦٧٢ ص.

٢٨ـ روزنتال، فرانز. علم التاريخ عند المسلمين/ ترجمة صالح أحمد العلي. ـ بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٨٦٠ ص.

٢٩ـ الريسوني، أحمد. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي/ تقديم، طه جابر العلواني. ـ ط ٤. ـ هيريندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٣٨٣ ص.

٣٠ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن. الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ/ عني بنشره القدسي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ـ ١٧٥ ص.

٣١ـ سروش، عبدالكريم. التراث والعلمانية: البنى والمرتكزات ـ الخلفيات والمعطيات/ ترجمة أحمد القبانجي. ـ بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٩م. ـ ٣٣٨ ص.

٣٢ـ سعيد، إدوارد. الآلهة التي تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور. ـ بيروت: التكوين، ٢٠٠٣م. ـ ١٣٩ ص.

٣٣ـ سعيد، إدوارد. الآلهة التي تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور. ـ بيروت: التكوين، ٢٠٠٣م. ـ ١٣٩ ص.

٣٤ـ سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. ـ القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ٥٦٠ ص.

٣٥ـ السليم، فرحان. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (١). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm (٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

٣٦ـ السليم، فرحان. الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصر (٢). ـ شبكة صيد الفوائد. http://www.saaid.net/Minute/158.htm. (٩/ ٦/ ١٤٣٥هـ ـ ٩/ ٤/ ٢٠١٤م).

٣٧ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة/ تحقيق عبدالله دراز. ـ القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م. ـ ٤: ١٠٥ ـ ١٠٦.

٣٨ـ الشريف، حاتم بن عارف بن ناصر. الولاء والبراء بين الغلوِّ والجفاء في ضوء الكتاب والسنَّة. ـ في: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. السجلُّ العلمي لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب: مؤتمر عالمي عن قضايا الإرهاب والعنف والغلوّ نظَّمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١ ـ ٣ ربيع الأوَّل ١٤٢٥هـ/ ٢٠ ـ ٢٢ أبريل ٢٠٠٤م. ـ ٥ مج. ـ الرياض: الجامعة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢: ٤٦٣ ـ ٤٩٧.

٣٩ـ شلبي، السيد أمين. العداء بين الإسلام والغرب عنوانٌ مبسَّطٌ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لفرضيَّةٍ معقَّدة. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٩١٢٥ (٣٠/ ١٠/ ١٤٣٦هـ ـ ١٥/ ٨/ ٢٠١٥م). ـ ص ٢٠.

٤٠ ـ الشيخ، أحمد. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ٣١٩ ص.

٤١ ـ الطيِّب، أحمد محمد أحمد. التراث والتجديد: مناقشات وردود. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة لدار الكتب والوثائق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ١٤٤ ص.

٤٢ ـ عابدين، محمد أبو اليسر. أغاليط المؤرِّخين. ـ دمشق: محمد عزيز عابدين، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م. ـ ٣٤٥ ص.

٤٣ ـ عامل، مهدي. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٦م. ـ ١١١ ص.

٤٤ ـ العتيبي، سعود بن سعد بن نمر. ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنَّة والجماعة. ـ جدَّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٧٢٨ ص.

٤٥ ـ العقيقي، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تُراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتَّى اليوم. ـ ٣ مج. ـ ط ٥. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.

٤٦ ـ علي، مصطفى محمد. الشمال والجنوب: الدلالة الجغرافية والاستخدام الدولي المعاصر. ـ مجلَّة جامعة دمشق. ـ ع ١و٢ مج ٢٧ (٢٠١١م). ـ ص ٣٩٣ ـ ٤٢٤.

٤٧ـ العُمري، أكرم ضياء. التراث والمعاصرة. ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ص ٩. ـ (سلسلة كتاب الأمَّة؛ ١٠). ـ (تقديم عمر عبيد حسنة).

٤٨ـ غراي، جون. الرجال من المرِّيخ والنساء من الزهرة: الدليل الرائع لفهم الجنس الآخر/ ترجمة حمود الشريف. ـ الرياض: مكتبة جرير، ١٩٩٢م. ـ ٢٨٦ ص.

٤٩ـ الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. ـ ٣ مج. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٠ـ غويتيسلو، خوان. في الاستشراق الإسباني: دراسة فكرية/ ترجمة كاظم جهاد. ـ الدار البيضاء: دار الفنك للترجمة للغة العربية، ١٩٩٨م. ـ ٢٨٨ ص.

٥١ـ فرسون، سميح. الاستغراب نقدٌ للغرب. ـ ص ١٤٣ ـ ١٦٧. ـ في: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقَّفون العرب والغرب. ـ القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ٢٠٠٠م. ـ ٣١٩ ص.

٥٢ـ قادرة، غيثاء. الثنائيات الضدِّيَّة وأبعادها في نصوصٍ من المعلَّقات. ـ مجلَّة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ـ ع ١٠ (صيف ١٣٩١هـ. ش/ ٢٠١٢م. ـ ص ٢٥ ـ ٤٦.

٥٣ـ القحطاني، مُحَمَّد بن سعيد بن سالم. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٤٧٦ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٤ـ القحطاني، مسفر بن علي. صدام القيَم: قراءةُ ما بعد التحوُّلات الحضارية. ـ بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٥م. ـ ١٧٦ ص.

٥٥ـ قربة، جهاد محمد. الشمال والجنوب!: مفهومٌ أم جغرافيا. مكَّة المكرَّمة: جامعة أمِّ القُرى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٤ ص. http://uqu.edu.sa/page/ar/49437(٢٤/ ١٠/ ١٤٣٦هـ ـ ٩/ ٨/ ٢٠١٥م).

٥٦ـ القرضاوي، يوسف. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان. ـ القاهرة: دار الشروق، . ـ ١٦٤ ص.

٥٧ـ قـرُم، جورج. شرق وغـرب: الـشرخ الأسطوري. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣م. ـ ٢١٥ ص.

٥٨ـ محمود، إبراهيم. المسيحية والإسلام، تصوُّرات متخيَّلة ورهانات سياسية. ـ الاجتهاد. ـ ع ٣٠ (شتاء ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣.

٥٩ـ محمود، زكي نجيب. تجديد الفكر العربي. ـ بيروت: دار الشروق، ١٩٧١م. ـ ٣٨٦ ص.

٦٠ـ محّو، عبدالمؤمن. الحداثة والهُوية: خارج الثنائية المكبِّلة. ـ العـربـي الـجـديـد. ـ (٢٩/ ٩/ ٢٠١٥م). ـ www.alaraby.co.uk. ـ (٣٠/ ٩/ ٢٠١٥م). ـ (عرض كتاب الحداثة والهُويَّة لعبدالله حمودي).

٦١ـ المدرسي، هادي. لئلا يكونَ صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. ـ بيروت: دار الجديد، ١٩٩٦م. ـ ١٧٤ ص.

٦٢ـ المسيري، عبدالوهَّاب. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٣ـ مطبَّقاني، مازن بن صلاح. درسنا الاستشراق ونبدأ الآن في دراسة الاستغراب. ـ الجزيرة الثقافية. ـ ع ١٣٢ (٣/ ١١/ ١٤٢٦هـ ـ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥م). ـ ص ١٠.

٦٤ـ ابن المقفع، سايروس (٢٩٨هـ/ ٩١٠م ـ أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). مصباح العقل/ تقديم وتحقيق الأب سمير خليل. ـ القاهرة: مطبعة العالم العربي، ١٩٧٨م.

٦٥ـ المنصوري، المبروك الشيباني. تحيين المعرفة وسدِّ الفجوات الثقافية. ـ ص ٨٧ ـ ١٣٥. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

٦٦ـ المنصوري، المبروك الشيباني. الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية: الاستشراق، القرآن، الهُوية والقيم الدينية عند العرب والغرب واليابانيين Modern Studies of Religion From Western Centrism to Cultural Relativism. ـ تونس: الدار المتوسِّطية، ٢٠١٠م. ـ ٢١١ ص.

٦٧ـ موسى، عزّ الدين عمر. بين حوار الحضارات وتصادُمها: رؤية مغايرة. ـ الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ص ١١ ـ ٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٨ـ موقع الدكتور عبدالله الشارف. ـ ٣/ ١١/ ١٤٣٦هـ ـ ١٩/ ٨/ ٢٠١٥م. ـ www.charefab.com/? p = 67.

٦٩ـ النجَّار، عبدالجبار. الإصلاح الفكري تحييناً للمعرفة: رؤية تأصيلية. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ ص ٥٩ ـ ٨٦. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

٧٠ـ الندْوي، محمد إقبال الناطي. أخلاقيات الحرب في الإسلام. ـ الرباط: المنظَّمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ١٩٦ ص.

٧١ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصيَّة والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٤٦ ص.

٧٢ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق بين منحيين: النقد الجذري أو الإدانة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ٦١ ص. ـ (سلسلة كتاب المجلَّة العربية؛ ٢٠١).

٧٣ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٢١٤ ص.

٧٤ـ النملة، علي بن إبراهيم. الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٩١ ص.

٧٥ـ النملة، علي بن إبراهيم. التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٠ ص.

٧٦ـ النملة، علي بن إبراهيم. التواصُل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٢٨ ص.

٧٧ـ النملة، علي بن إبراهيم. صدام الثنائيات: افتعال الصراع بين ذاك الحين (التراث) وهذا الحين (المعاصرة). ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ أبريل ٢٠١٤م. ـ ص ١٥ ـ ٤٣. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

٧٨ـ النملة، علي بن إبراهيم. صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٤ ص.

٧٩ـ النملة، علي بن إبراهيم. كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٣٠٢ ص.

٨٠ـ النملة، علي بن إبراهيم. الموسوعات الفردية: المسيري أنموذجًا. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٢هـ. ـ ١٢٦ ص. ـ (سلسلة كتاب المجلَّة العربية؛ ١٧٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨١ـ النملة، علي بن إبراهيم. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. ـ ٨٨ ص.

٨٢ـ النملة، علي بن إبراهيم. الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية. ـ ٤ مج. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٨٣ـ هنتنجتون، صامويل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي/ ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه. ـ ط ٢. ـ القاهرة: سطور، ١٩٩٩م. ـ ٢٢٥+ الهوامش.

٨٤ـ هنتنغتون، صموئيل. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي/ ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمَّد خلف. ـ مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية، ١٩٩٩م. ـ ٣٩٠ ص.

٨٥ـ هونكه، زيغريد. التوجُّه الأوروبِّي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم/ ترجمة هاني صالح. ـ تقديم إسماعيل مروَّة. ـ بيروت: مؤسَّسة الإيمان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٩٥ ص.

٨٦ـ هونكه، زيغريد. شمس الله تُشرق على الغرب: فضل العرب على أوربَّا/ ترجمه وحققه وعلَّق عليه فؤاد حسنين علي. ـ القاهرة: دار العالم العربي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ٤٨٧ ص.

٨٧ـ يفوت، سالم. حفريات الاستشراق: في نقد العقل الاستشراقي. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م. ـ ٨٥ ص.

88 - Hotchkiss, Sandy & James Masterson F. Why Is It Always About You?: The Seven Deadly Sins of Narcissism.- New York: Free press, 2003.- 214 p.

89 - Ozalp, Mehmet. Islam between Tradition and Modernity: An Australian Perspective.- Barton, Australia: Barton Books, 2012.- 309 p.

90 - Ziman, M. J, Public Knowledege.- Cambridge: Cambridge University Press, 1968.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملحق

إصدارات المكتبة (النشرات)

الإسلامية الألمانية Bibliotheca Islamica

«إذا لم يُذكر رقم الطبعة فهي الأولى»[1]

١ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين للإمام أبي الحسن علي الأشعري/ تحقيق هلموت ريتر، جاءت الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢ ـ التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني/ باعتناء أوتو برتزل، وطبع بإسطنبول سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

٣ ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني/ باعتناء أوتو برتزل، وطبع بإسطنبول سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

---

(١) هذا الملحق مستلٌّ من كتاب الباحث. الاستشراق بين منحيين: النقد الجذري أو الإدانة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٧ ـ ٥٨.)

٤ ـ فرق الشيعة لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي/ عني بتصحيحه هلموت ريتر، وطبع بإسطنبول سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

٥ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ٥ أجزاء في ٦ مجلّدات، و٧ مجلّدات فهارس/ بتحقيق محمد مصطفى.

٦ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، ٣٠ جزءًا صدرت كلها/ باعتناء عدد من المستشرقين وعلماء العربية.

٧ ـ مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه/ عني بنشره ج. براجستراشر، وطبعته المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٨ ـ غاية النهاية في طبقات القرّاء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري/ عني بنشره ج. براجستراشر.

٩ ـ التنبيه والردُّ على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي، طبع بإسطنبول سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

١٠ ـ دراسة حول مخطوطات الحديث النبوي في مكتبات إسطنبول لماكس وايسوايلر، مطبعة يوني رسوم بإسطنبول سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١١ ـ بيان مذهب الباطنية وبطلانه، منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمّد، لمحمّد بن الحسن الديلمي/ عُني بتصحيحه ر. شتروتمان، إستانبول، مطبعة الدولة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٢ـ كاراغوز (كذا).

١٣ـ فردوس المرشدية في أسرار الصمدية، لمحمود بن عثمان/ بتصحيح فريتز مايرـ إستانبول، مطبعة معارف، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

١٤ـ سوانح، لأحمد غزالي/ بتصحيح هلموت ريتر، إستانبول، مطبعة معارف، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

١٥ـ مجموعة في الحكمة الإلهية، من مصنفات شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي/ عُني بتصحيحه هـ. كوربين، المجلد الأوّل، إستانبول، مطبعة معارف، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

١٦ـ شعر عبد اللّه بن المعتزّ صنعة أبي بكر الصُولي (جزءان).

١٧ـ الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة/ تحقيق هانس وير، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

١٨ـ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني/ نقله من العربية وعلّق عليه هلموت ريتر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٩ـ ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي (ستة أجزاء).

٢٠ـ طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى بن المرتضى/ تحقيق سوسنّه ديفلد فلزر، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١ـ مشاهير علماء الأمصار، تصنيف محمّد بن حبّان البستي/ تحقيق مانفريد فليشهمر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٢٢ـ نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء لأبي عبيد اللّه محمّد بن عمران المرزباني، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري.

٢٣ـ كنز الولد لإبراهيم بن الحسين الحامدي/ تحقيق مصطفى غالب، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٤ـ مكارم الأخلاق لأبي بكر عبد اللّه بن محمّد بن عبيد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا/ تحقيق جيمز أ. بلمي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٥ـ كتاب النبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الجزء الثالث والنصف الأوّل من الجزء الخامس/ تحقيق برنهارد لوين، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢٦ـ حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري/ تأليف عبد القادر البغدادي (٣ أجزاء).

٢٧ـ أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري، (١٠ أجزاء).

٢٨ـ نظم الدر والعقيان لمحمّد بن عبد اللّه بن عبد الجليل التنسي.

٢٩ـ كتاب النجاة لأحمد الناصر لدين اللّه/ تحقيق ويلفرد ماديلونغ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠ـ تاريخ الملك الظاهر، لعزّ الدين محمّد بن علي بن إبراهيم بن شدّاد/ تحقيق أحمد حطيط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣١ـ علم الجذل في علم الجدل لنجم الدين الطوفي الحنبلي/ تحقيق فولفهارت هاينريشس، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٢ـ بدء الإسلام وشرائع الدين لابن سلام الإباضي/ تحقيق فيرنر شوارتس والشيخ سالم بن يعقوب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٣ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري/ تحقيق عطية رزق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٤ـ ثلاثة مصنّفات للحكيم الترمذي، (جزءان).

٣٥ـ قهوة الإنشاء لابن حجة الحموي الأزراري/ تحقيق رودولف فيسيلي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٦ـ دول الإسلام الشريفة البهية لأبي حامد القدسي/ تحقيق صبحي لبيب وأولريش هارمان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٧ـ المسرح الشعبي العربي في القاهرة سنة ١٩٠٩/ تحقيق وترجمة مانفريد فويديش وجاكوب لنداو، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣هـ.

٣٨ـ نزهة المقلتين في أخبار الدولتين لابن الطوير/ تحقيق أيمن فؤاد سيّد، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٩ـ كنز الفوائد في تنويع الموائد/ تحقيق مانويلا مارين وديفيد واينز، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٠ـ الواضح في أُصول الفقه لابن عقيل/ تحقيق جورج المقدسي (٤ أجزاء).

٤١ـ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة لبيبرس المنصوري الدوادار/ تحقيق دونلد س. ريتشاردز، ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٢ـ المراسلات بين صدر الدين القونوي ونصير الدين الطوسي/ تحقيق جودرون شوبارت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٣ـ كتاب العَروض لأبي الحسن علي بن عيسى الربعي/ تحقيق محمّد أبو الفضل بدران، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٤ـ وثيقة وقف السلطان الناصر حسن بن محمّد بن قلاون/ تحقيق هويدا الحارثي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

٤٥ـ تاريخ مجموع النوادر للأمير شهاب الدين قرطاي العزّي الخزنداري، الجزء الرابع/ تحقيق محمّد الحجيري وهورست هاين، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٦ـ شرح الأشعار الستّة الجاهلية لأبي بكر عاصم بن أيُّوب البطليوسي/ ترجمة وتحقيق ناصيف سليمان عوَّاد ولطفي التومي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. في ١١٣١ صفحة.

٤٧ـ الإلمام بأخبار مَن بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي/ تحقيق منفريد كروب وفرانز كويستوف مُوت.

٤٨ـ تلخيص الأدلَّة لقواعد التوحيد، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الصفّار البخاري.

الباحث:

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- تاريخ الميلاد: ١/ ٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢م.
- التعليم العام: الرياض ١٣٧٨ ـ ١٣٩٠هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. التخصُّص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. التخصُّص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بكليفلاند، أوهايو في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. التخصُّص: المعلومات والمكتبات.
- وكيل كلِّيَّة العلوم الاجتماعية ١٤٠٥ ـ ١٤٠٩هـ.
- باحث في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتَّحدة الأمريكية ١٤٠٩ ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- مدير عام الهيئة العامَّة لجمع التبرُّعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩م.

- أستاذ: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ ـ ١٤٢٥هـ/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٤م.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسب الآلي والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ـ ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- عضو عدد من جمعيات القطاع الخيري (الثالث) في الداخل والخارج.
- باحث في الشأن الاستشراقي والاستغرابي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب والشأن الاجتماعي.

الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب: (تمَّ حساب الطبعة الأولى فقط من كلِّ كتاب).

١ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٤ ص.

٢ ـ الاستشراق بين منحيين: النقد الجذري أو الإدانة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ٥٠ ص. ـ (سلسلة كتيِّب المجلة؛ ١٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ ـ الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. ـ بيروت: مكتبة ميسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٢٣٥ ص.

٤ ـ الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات ورصدٌ وراقي للمكتوب. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٣٧٠ ص.

٥ ـ الاستشراق والإسلام في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٢٤ ص.

٦ ـ الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٦٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

● مصادر المستشرقين ومصدريتهم. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٣٠٩ ص.

٧ ـ الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٦ ص.

٨ ـ الاسْتِغْرَاب: الْمَنْهَجُ فِيْ فَهْمِ الْغَرْبِ، رُؤْيَةٌ تَأْصِيْلِيَّة. ـ الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٨٩ ص. ـ (سلسلة كتاب المجلَّة؛ ٢٢٣).

٩ ـ إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ـ ١٩٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

١٠ـ إِشْكَالُية المُصطلَحِ في الفِكرِ العَرَبِي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهـومات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٤٨ ص.

١١ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ١٨٢ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

١٢ـ تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٥٠ ص.

١٣ـ التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١١١ ص.

- التواصُل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ١٩٨ ص.

١٤ـ التنصير في الأدبيَّات العربية. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٢٧٢ ص.

- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع. ـ ط ٢. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٤١٩ ص.

١٥ـ التنصير: مفهـومه وأهـدافه ووسائله وسبل مواجهـته. ـ القاهـرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ١٢٠ ص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. ـ ١٥٢ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٣. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٦٧ ص.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. ـ ط ٤. ـ الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٨ ص.
- التنصير: المفهوم ـ الوسائل ـ المواجهة. ـ ط ٥. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٠ ص.

١٦ـ ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٤٥ ص.

١٧ـ الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٢٥ ص.

١٨ـ السعوديُّون: الثبات والنماء. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٣١٤ ص.

١٩ـ السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٤٥ ص.

٢٠ـ الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٤٨ ص.

● الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٢. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ـ ١٧٣ ص.

● الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٥٢ ص.

٢١ـ الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٥٢ ص.

٢٢ـ صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧١ ص. ـ (سلسلة نقد العقل المعاصر).

٢٣ـ ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٢١٠ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

● كُنه الاستشراق: المفهوم ـ الأهداف ـ الارتباطات. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. ـ ٣٠٢ ص.

٢٤ـ العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم ـ التحدِّيات ـ المواجهة. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٥٠ ص.

● العمل الاجتماعي الخيري: التنظيم ـ التحدِّيات ـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المواجهة. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٣٢٠ ص.

٢٥ـ الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٧٧ ص.

- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٧٧ ص.

٢٦ـ فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٤ ص.

٢٧ـ فكر التصدِّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م. ـ ١١٣ ص.

- فكر التصدِّي للإرهاب: المفهومِ ـ الأسبابِ ـ الهُويَةِ ـ الأوْزارِ. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ٢٤٣ ص.

٢٨ـ مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٧٧ ص.

- مناحي التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ١٨٧ ص.

٢٩ـ مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ١٣٢ ص.

- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٠٠ ص.
- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

٣٠ـ المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ١٧٨ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٣١ـ المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ١٥٧ ص.

٣٢ـ المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٦٩ ص.

٣٣ـ المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ١٩١ ص. ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٢).

٣٤ـ مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وراقي. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ـ ٢٦٠ ص. ـ (بالاشتراك مع أ. د. عفيف محمد عبدالرحمن).

٣٥ـ مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للمواقف. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ٥٦ ص. ـ (ضُمِّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).

٣٦ـ المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٢٨٤ ص.

٣٧ـ المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه. ـ الرياض: الجمعية السعودية للدراسات القرآنية، (تبيان)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ١٤٤ ص.

٣٨ـ مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٩٣ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). ـ (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمَّد الصغيِّر).

٣٩ـ موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. ـ ٨٧ ص.

٤٠ـ نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٣٠٣ ص.

٤١ـ نقد الفكر الاستشراقي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٧٩ ص.

- مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن

الكريم والرسالة. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٣٠٢ ص.

٤٢ـ هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

- هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ ط ٢. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٤٥ ص.

٤٣ـ وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٠ ص.

- وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٩٨ ص.

٤٤ـ الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ١٩٠ ص.

٤٥ـ الوراقة والورَّاقون في الحضارة الإسلامية. ـ ٤ ج. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ـ ١٢٣٠ ص.

٤٦ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٦٦ ص. ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

- وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية. ـ القاهرة: مجلَّة العمل، ٢٠٠٣م. ـ ٤٦ ص. (سلسلة كتاب العمل؛ ٥٢٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٧٦ ص.
- تهيئة الموارد البشرية في زمن العولمة. ـ ط ٣. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٢٧ ص.

47 - Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment. - Ph. D. Dissertation.- Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984.- 280 p. (manuscript).

ثانيًا: مقالات وبحوث علمية: (مرتَّبةٌ هجائيًا)

١ ـ الابتعاث مؤثِّرًا ومحدِّدًا من محدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب. ـ منتدى أبعاد (شيكاغو ١٥ ـ ١٩/ ٢/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٨ ـ ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٣م). ـ ١٥ ص.

٢ ـ الاتِّجار بالبشر: العلاج بالوقاية. ـ ورقة عمل مقدَّمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتِّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرَّم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م. ـ ١٧ ص.

٣ ـ أثر الأستاذ في تلاميذه. ـ مجلَّة الصلة. ـ ع ١٥ (١٤٣٤هـ). ـ ص ٧ ـ ٩.

٤ ـ أثر الاستشراق في الحملة على رسول الله ﷺ. ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ ع ١٤٧ مج ٤٢ (١/ ١٤٣٠هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٨م). ـ ص ١٦٥ ـ ٢٠٣.

٥ ـ أثر مؤسَّسات المجتمع المدني في التعامُل مع مؤتمرات المرأة. ـ البحرين: الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية عن المرأة وآثارها على العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٢٠ ص.

٦ ـ أدوار المؤسَّسات الوسيطة في تنمية العمل الخيري ورقة قدِّمت في ملتقى المؤسَّسات الوسيطة: شراكة وتكامُل. ـ الرياض: مؤسَّسة محمد وعبدالله ابني إبراهيم السبيعي الخيرية، ٢٨ ـ ٢٩/ ١٢/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢ ـ ٣/ ١١/ ٢٠١٣م. ـ ١٤ ص.

٧ ـ الإرهاب: المفهوم والهُوية. ـ الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨ ـ الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ القاهرة: مؤتمر اتِّحاد المؤرِّخين العرب، ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ ـ ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م. ـ ٣٨ ص.

٩ ـ الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية». ـ في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٣٤ ص.

١٠ ـ الاستشراق والإسلام: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـ

١١ ـ الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق. ـ ص ٢٥١١ ـ ٢٥٣٤. ـ في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسنة بين التراث والمعاصرة ١٤ ـ ١٦ صفر ١٤٢٨هـ الموافق ٤ ـ ٦ مارس ٢٠٠٧م. ـ المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٢ ـ الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثِّران على فكر الشباب تلقِّيًا وتفاعُلاً. ـ في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ عمَّان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ ٢٦ ص.

١٣ ـ الاستشراق والقرآن الكريم: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة البحوث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوَّرة). ـ ع ٣ (١/ ١٤٢٨هـ/ ١ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٩٥ ـ ٢٢٩.

١٤ ـ الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث. ـ في: دراسات إسلامية. ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ص: ٦٩ ـ ٩٩.

١٥ ـ الاستشراق وأصالة علوم المسلمين: الفقه الإسلامي والقانون الروماني. ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ. ـ ٤٩ ص.

١٦ ـ الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب. ـ حائل: جامعة حائل، ١٧/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق ٦/ ٥/ ٢٠١٥م. ـ ٤٥ ص. ـ (محاضرة). ـ (بدعوة من الجمعية العلمية للثقافة الإسلامية، بإشراف جامعة الملك فيصل بالأحساء).

١٧ـ إِشْكَالِيَّةُ المُصطلَحِ المَنقُولِ للعَرَبِيَّةِ: نَظرَةٌ عامَّةٌ وَنَمَاذِج. ـ (محاضرة) الدمَّام: مُنتدى الزامل، ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

١٨ـ إشكالية المصطلح في الفكر العربي. ـ ٣: ٢٨٥ ـ ٤٠٩. ـ في: مُنتدى العُمري الثقافي: حصاد العام الثالث ١٤٣١هـ. ـ ٨ مج. ـ بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٩ـ الإصلاح في المجال الاجتماعي في المملكة العربية السعودية: تحدِّيات التطوير. ـ في: الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدَّة. ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١٣ ص.

٢٠ـ اضطراب المصطلح المنقول من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة. ـ المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٣٧ ص.

٢١ـ الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليَّات المسلمة. ـ في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليَّات ٨ ـ ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٣١/ ٧ ـ ٢/ ٨/ ١٩٩٨م. ـ ١٨ ص.

٢٢ـ الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة. ـ أدنبرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدنبرة. ـ بمناسبة افتتاح مركز خادم الحرمين الشريفين في أدنبرة. ـ ٨ ـ ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٣١/ ٧ ـ ٢/ ٨/ ١٩٩٨م. ـ (محاضرة).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٣ـ الالتفاف على الاستشراق: محاولة التنصُّل من المصطلح. ـ ص ٧٣٧ ـ ٧٧٥. ـ في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ ـ ٦ صفر ١٤٢٧هـ الموافق ٤ ـ ٦ مارس ٢٠٠٦م. ـ المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ١٥٦١ ص.

٢٤ـ أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوِّقات الإفادة منها. ـ العقيق. ـ ع ٢٧ ـ ٢٨ (رمضان ـ ذو الحجَّة ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ١٩٩٩ ـ مارس ٢٠٠٠م). ـ ص ٢٥١ ـ ٢٧٢.

٢٥ـ ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنوَّرة في المدَّة من ٢٥ ـ ٢٧ محرَّم ١٤٢٠هـ. ـ الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ـ ص ٥٤٥ ـ ٥٧٠.

٢٦ـ البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطَّة الأمنية العربية. ـ ورقة مقدَّمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطلُّعات الذي عقدته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٣ ـ ٦/ ١/ ١٤٣١هـ ـ ٢١ ـ ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٩م. ـ ٤٣ ص. ـ (نشرتها الجامعة في كتيِّب، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

٢٧ـ البنية الأساسية لنظامٍ وطنيٍّ للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج

١٣ ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/ أكتوبر ١٩٨٥م). ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٨١.

٢٨ـ البيئة القانونية والنظامية وأهميَّتها لتحفيز المشاركة في العمل التطوُّعي. ورقة مقدَّمة لملتقى العمل التطوُّعي ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ ـ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م. ـ ١٥ ص.

٢٩ـ التجهيزات الأساسية للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير ـ فبراير ١٩٨٥م). ـ ص ٢٣ ـ ٣٨.

٣٠ـ التجَّار والمسؤولية الاجتماعية. ـ القصيم. ـ ع ١١٤ (٣/ ١٤٢٨هـ ـ ٣/ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٠ ـ ١١.

٣١ـ التحالُف العربي الياباني في ضوء خصوصية الثقافات: البعثات التعليمية بين التأثُّر والتأثير في ندوة حوار الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي. ـ المعهد الدبلوماسي/ الرياض: الاثنين ١٦/ ٣/ ١٤٢٩هـ ـ ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٨م. ـ ٢٨ ص.

٣٢ـ التَّنصيرُ القَسْريُّ وَأَثَرُه فِي التَّعَدِّي عَلَى الحُرِّيَّاتِ الدِّينِيَّة. ـ الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ـ ٥٠ ص.

٣٣ـ تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة). ـ الدمام: مجلس الحصيني، ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ ـ ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٤ ص.

٣٤ـ تنمية العمل الخيري. ـ الدوحة: مؤسَّسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٥ـ تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلُّعات المستقبل. ـ لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٤٣ ص.

٣٦ـ التواصُل الثقافي العربي الألماني: الاستشراق أنموذجًا. ـ مجلَّة المجلَّة العربية. ـ ع ٤٦١ (جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ أبريل ٢٠١٥م). ـ ص ٤ ـ ١٠.

٣٧ـ الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي. ـ في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي. ـ الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ص ١٠١ ـ ١١٧.

٣٨ـ الحوار الحضاري بين الأمم: إسهام الحضارة الإسلامية في بناء حضارة الأمم من خلال نقل العلوم وصقلها. ـ المنيا: كلية دار العلوم. ـ ٤٧ ص.

٣٩ـ خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية. ـ حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـع ١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٩.

٤٠ـ الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٦ ع ٢ (٨/ ١٤٠٦هـ ـ ٤/ ١٩٨٦م). ـ ص ٥٥ ـ ٦٤.

٤١ـ خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي. ـ الرياض: كلية

اليمامة، (يوم الاثنين ٢٢/ ١٠/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٣/ ١١/ ٢٠٠٦م). ـ ١٤ ص.

٤٢ـ دار الوراقة الخليجية. ـ عالم الكتب. ـ

٤٣ـ الدَّعْوَةِ لِقِيَامِ عِلْمِ الاِسْتِغْراب. ـ محاضرة في ديوانيَّة الأستاذ الدكتور سليمان الرحيلي ـ رحمه الله ـ. ـ (المدينة المنوَّرة ٧/ ٦/ ١٤٣٥هـ الموافق ٧/ ٤/ ٢٠١٤م). ـ ٦٨ ص.

٤٤ـ الدعوة لإعادة النظر في مفهوم التطوُّع. ـ الرس: جمعية البرِّ بالرس، ١٨/ ٢/ ١٤٣٦هـ الموافق ١٠/ ١٢/ ٢٠١٤م. ـ ١٨ ص.

٤٥ـ رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين. ـ مجلَّة مكتبة الملك فهد الوطنية. ـ مج ١ ع ١ (محرَّم ـ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو ـ ديسمبر ١٩٩٥م). ـ ص ٣٩ ـ ٨١.

٤٦ـ صدام الثنائيات: افتعال الصراع بين ذاك الحين (التراث) وهذا الحين (المعاصرة). ـ ص ١٥ ـ ٤٣. ـ في: الندوة الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان، ٢٦ ـ ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٧ إبريل ٢٠١٤م. ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. ـ ٢٩٦ ص. ـ (سلسلة الندوات؛ ٥).

٤٧ـ العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب. ـ عالم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتب. ـ مج ٥ ع ٣ (١/ ١٤٠٥هـ ـ ١٠/ ١٩٨٤). ـ ص ٤٨٣ ـ ٤٩٢.

٤٨ـ علي كُراع النمل. ـ مجلَّة الحرس الوطني. ـ مج ؟؟ ع ؟ (؟؟/ ؟؟/ ؟؟؟١هـ ـ ؟١٩٨م). ـ ص ؟؟؟ ـ ؟؟؟.

٤٩ـ العمل الاجتماعي والتحدِّيات المعاصرة. ـ المدينة المنوَّرة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ (محاضرة).

٥٠ـ العمل التطوعي. الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية. ـ ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ ـ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م. ـ (محاضرة).

٥١ـ عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ١ (٧/ ١٤٠٢هـ ـ ٤/ ١٩٨٢م). ـ ص ٦ ـ ١٠.

٥٢ـ العولمة الفكرية. ـ دارين الثقافية. ـ ع ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ـ ص ١٦ ـ ٢٢.

٥٣ـ العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ ـ ٢٥/ ٢/ ١٤٢٣هـ/ ٦/ ٨/ ٢٠٠٢م. ٣٠ ص. (محاضرة).

٥٤ـ الفكر والعلم والسلطة. ـ ورقة مقدَّمة في ملتقى الأستاذ معتوق شلبي يوم الجمعة ٢٢/ ٨/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٥/ ٩/ ٢٠٠٦م. ـ ١٠٩ ص.

٥٥ـ كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ ـ ٨٨٨؟)

(تحقيق ونشر). ـ العصور. ـ مج ٣ ع ٢ (١١/ ١٤٠٨هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م). ـ ص ٣١٣ ـ ٣٥٨.

٥٦ـ كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف. ـ في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم. ـ ع ١. ـ المدينة المنوَّرة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمَّد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٢٢ ـ ٦٠.

٥٧ـ مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٨ ع ٣ (١١/ ١٤٠٩هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م. ـ ص ٥ ـ ٢٨.

٥٨ـ المُسْتَشْرِقُوْنَ وَالْقُرآنُ الْكَرِيْمُ: دِرَاسَاتٌ وَتَرْجَمَاتٌ. ـ محاضرةٌ مقدَّمةٌ لجَمْعِيَّةِ تِبْيَان. ـ الأربعاء ١٩/ ٤/ ١٤٣٥هـ ـ ١٩/ ٢/ ٢٠١٤م. ـ ٩٩ ص.

٥٩ـ مستقبل الكتاب المطبوع. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ٢ (١٠/ ١٤٠٢هـ ـ ٧/ ١٩٨٢م). ـ ص ١٦٢ ـ ١٧٠.

٦٠ـ المسؤولية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحداثة المصطلح. ـ (محاضرة).

٦١ـ المسؤولية الاجتماعية للجامعات في مجال تطوير القطاع الثالث: تطوير العمل الخيري. ـ ورقة مقدَّمة لحلقة النقاش حول تطوير العمل الخيري بكرسي الشيخ عبدالرحمن الراجحي وعائلته لتطوير العمل الخيري بجامعة الملك سعود. ـ الثلاثاء ١٥/ ١١/ ١٤٣٠هـ ـ ٣/ ١١/ ٢٠٠٩م. ـ ١٥ ص.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦٢ـ المسؤولية الاجتماعية وشباب الأعمال. ـ بريدة: الغرفة التجارية الصناعية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ـ ٢٤ ص. ـ (محاضرة).

٦٣ـ مفهوم الحماية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية. ـ ورقة مقدَّمة إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية المنعقد في رحاب جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في ١٨/ ١/ ١٤٣٦هـ ـ ١٨/ ١١/ ٢٠١٤م. ـ الرياض: الجامعة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م. ـ ١٢ ص.

٦٤ـ المكتبة الافتراضية والتراث العربي. ـ الدار البيضاء: الاتِّحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٨ ص.

٦٥ـ مناهج التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب. ـ أبها: النادي الأدبي بعسير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٣٨ ص. (محاضرة).

٦٦ـ ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

٦٧ـ منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح. ـ باريس: اليونسكو، ٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ ـ ٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م. ـ ٢٧ ص.

٦٨ـ منهج التأثُّر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان. ـ في: المؤتمر الدولي الرابع: الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوُّع. ـ ١ ـ ٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ٩ ـ ١١ مارس ٢٠٠٨م. ـ المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ص ٣١١ ـ ٣٣٦.

٦٩ـ منهج الدكتور عبدالرحمن بن حمود السميط (١/ ١٢/ ١٣٦٦ ـ

٨ / ١٠/ ١٤٣٤هـ ـ ١٥/ ١٠/ ١٩٤٧ ـ ١٥ /٨/ ٢٠١٣م) في ريادة العمل الخيري: مؤسَّسة خيرية في رجل خير. ـ جامعة أمِّ القرى/ مكَّة المكرَّمة (٥/ ٢/ ١٤٣٥هـ ـ ٨/ ١٢/ ٢٠١٣هـ). ـ ١٥ ص.

٧٠ـ المواجهة بالمناصحة والرعاية: تجربة المملكة العربية السعودية. ـ في: الملتقى العلمي حول دَور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في ٩/ ٧/ ١٤٣٦هـ الموافق ٢٨ ـ ٣٠/ ٤/ ٢٠١٥م.

٧١ـ الموسوعة الفِكرِيَّةُ عَبدُالوهَّاب المسِيري. ـ (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٣/ ٦/ ٢٠٠٩م). ـ ٨٠ ص. ـ ونشرتها المجلَّة العربية في ملحقها الشهري بصورة كتاب).

٧٢ـ نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية. ـ في: المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات. ـ ١٥ مج. ـ الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ. ـ ٤: ٣٨٣ ـ ٤٢٣.

٧٣ـ نقد الاستشراق: مقدِّمة لرصد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمد الإسلامية. ـ ع (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). ـ ص.

٧٤ـ وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. ـ مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة). ـ ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢م). ـ ص ٥٨ ـ ٧٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

75 - Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology. - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 2009- 20 p.

76 - Index of Information Utilization Potential (IUP) as an Information Measure.- Arab Journal for Librarianship & Information Science.- v. 7, no. 3 (7/1987). - p. 4 -14.

77 - Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession. - International Library Review 14: 3 - 20 (1982).

78 - Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. - Journal of Muslim Social Scientists, 1982,- 18 p.

79 - Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World. -2 Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 1982. - 18 p.